

دار التلاقي للكتاب

تعنى بنشر الثقافة الرفيعة والإبداع المتميز

المدير العام : **د . أسرار الجراح**   مدير النشر : **السمّاح عبد الله**

جمهورية مصر العربية – الجيزة – العجوزة

54 شارع شاهين – الطابق الأرضي – شقة **7**

تليفون : **33477903 – 0117652396**

Email : altalaqi22@yahoo.com

اســـم العمل : رائحة مأتم

المـــــؤلف : د . جمال الجزيري

السلسلة : النصوص القصصية

الطـــــبعة : الأولى

تاريخ النشر : القاهرة، يناير 2010

تصميم الغلاف والإخراج الفني : سين عين

النـــاشـــــر : دار التلاقي للكتاب

عدد الصفحات : 104 صفحة

عدد النســخ : **1000** نسخة

مقاس الكتاب :(متوسط) 14 x 20

رقـــم الإيداع :

رائحة مأتم

قصص قصيرة

جمال الجزيري

الطبعة الأولى

دار التلاقي للكتاب

يناير 2010

إِشَارَةْ

كتبت قصص هذه المجموعة في الفترة من

1993 إلى 2009

سيرة أنف

كنتُ واقفا في المطار في انتظار صديق. فجأة انفجر صوتُ مُكَبِّرِ الصوت: "مكسيكي في المطار". اختلطت كل الوجوه، كلٌّ يحاولُ أن يستأصل أنفه، أن يغلق فمه، دون جدوى. احتجزونا جميعا في الحَجْر الصحي في انتظار الشحنة التي يرسلها المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة. حقنونا جميعا بمصل ما. وسرعان ما علت ابتسامةٌ مُتَوَجِّسَةٌ على الوجوه. لم أجد صديقي. لكنني رأيت أنفي تتحرك ورأيتني خارجا من المطار أفتّشُ عن شيء لا أعرف ما هو. الْتَقَطَتْ أنفي موجةً شاردةً في الأثير من ليلة أمس من تقرير القناة المحلية عن أماكن زرائب الخنازير. جرّتْني لأقفزَ في أتوبيس لم أجد الوقت حتى لأقرأ وِجْهَتَهُ. توقَّفَ في محطة نائية، في ضاحية إحدى المدن. ازداد استبدادُ أنفي وكأنها صارت عقلي الذي يتحكَّمُ في كلِّ حركةٍ من حركاتي. أَخَذَتْ تُحَرِّكُنِي حسبما تهوى وأنا أسير وراءها منقادا وكأنها أذابت إرادتي في الهواء الذي ينجرف في هوان إلى فتحتيها. وبالرغم من أنني لم أرَ خنزيرا واحدا، إلا أنها أمرتني بالتوقف عند موضع لم أتبيَّنْ فيه سوى كمِّيَّات هائلةٍ من قمامة كنت أظنُّها تُحْرَقُ أولا بأول. توقَّفْتُ مع ذوبان آخر قطرة من إرادتي. لم أجد أي وجه كان. فقط الفراغ والنأي وعواء الرياح. روائح عفنة لم أظن قط أنها موجودة بهذه الكثافة. آثار دماء. مصبّات صرف صحي. وجسد منهك لي. أمرتني أنفي بالانكماش في أحد الأركان فانكمشتُ، كأنها عسكري متجهم على باب "حَجْزٍ" يأمرني

بالجلوس والصمت فلا أجد مكانا إلا بجانب دلوٍ مليءٍ ببولٍ معتّقٍ فأسد أنفي وأجلس في انكسارٍ. نمْتُ....

وجدتُ أشباحَ خنازيرَ تطاردني وتهجم عليّ. تشمَّمَتْ كلَّ جزءٍ من جسدي ولمسَتْه. في الصباح وجدتُني أَلِدُ خنزيرا وأنشرحُ. أخذتُ أحسُ الوليدَ في نشوة ورأيتُني أفتحُ منخاريه وأتشمَّمُ وأحاول أن أشفطَ روحَه لتتسلَّلَ إليّ. وما أن تستوعبَ أنفي روحَه حتى أجده يموت. لكن جسمه سرعان ما يتكاثر وتخرج منه خنازير أخرى. تتكاثر الخنازير حولي وأنا منهمك في عملي: أَلْحَسُ وأَشُمُّ إلى أن امتد جسمي وكاد يملأ الزريبة. صور اختلطت في رأسي. أحسست بأنها تريد أن تقول لي شيئا. دبّت همهمات في رأسي. حاولت أن أتذكَّرَ شيئا. لكنني لم أتبيَّنْ إلا صوتَ الهواء العاوي وهو يعدو إلى أنفي. لم أحسّ إلا بجسدي وهو يتوسَّع في كل الاتجاهات. كنت أَفْزَعُ من منظر الامتداد وفي نفس الوقت تبتسم أنفي لتكاثر الخنازير. نبَّهَني فزعي إلي شيء ضائع. لكنني لم أجد في ذاكرتي شيئا يُرْجِعُني إلى ما كنتُ عليه. حاولتُ جاهدا أن أخمِّنَ صورتي السابقة مع تزايد حِدَّةِ الأصوات الخافتة في رأسي وتضاربِها. لم تصل ذاكرتي إلا إلى صوت مكبّر صوت في مكان مليء بكائنات تجري في هلع إلى مكان ما لتُغرز إبر في أجسادها. شيء حديدي يسير في مكان آخر ومليء بكائنات أخرى تُشْبِهُ الكائنات الأولى. ماسورة بها فتحتان تبتلعُ كل الرَّوائحِ وتَجُرُّ جسدي وراءها. أَخَذَتْ الصورُ تتلاعب وتتداخل في رأسي وصوت الهمهمات لا يصمت لحظة ولكن لا يبرز من بينها صوت واضح. أحسستُ بأنها تعبث بي وتسخر من جسدي

الممتدِّ وخضوعي لأنف لا أعرف إلى أين ستوصلني. لم أتذكَّرْ شيئا عن أي عالم غير عالمي في هذه الزريبة وكأنها كل ما عَهِدتُه في حياتي.

في أحد الأيام ألهب القرص الأصفر الذي يعلو في الهواء فوقي نَفَسًا ينجذبُ إلى أنفي. ساعتها سمعْتُ صوتا يقول لي: "ذكرى موت أبيك اليوم". وكأن هذا الصوتَ سيِّدُ كلِّ هذي الهمهمات، بَـدَأَتْ الأصـواتُ تـصفو وبدأتُ أرى رائحةَ رَجُلٍ مُحمّلةً بتراب الأرض ومائها. لم يستطع الخنزيـر الذي كان يحملق فيّ ويتلَمَّظُ أن يشفطَ هذي الرائحة من أنفي وكأنها أقوى من كل الروائح المعتّقة والمتغطرسة التي تستحوذ على كل موضع حولي.

عندما تَمَكَّنَتْ الرائحة من داخلي، بدأتُ أشعرُ بأشـياء غريبـة، بشيء جديد فَرِحْتُ بأنه نغَّصَ على أنفي انتشاءها بالروائح المُلْتَفَّة حـولي كطابورِ أَمْنٍ مَرْكَزِيٍ يَلْتَفُّ حول طفلٍ ويظنُّ أنه رأس الأفعـى. لكـنني لم أستطع حراكا، إذ أن جسدي ملأ كل الزريبة ووجدتُني أتهـاوى وأتحلَّـلُ ذاتيا. وأبصرتُ الخنازيرَ حولي تأكل مي جسدي. لم أحسّ بألم كأن جسدي انفصل عني تماما وأن آخر إحساس كان به عندما تهـاوى أمـامي دون أن أستطع أن أفعل له شيئا. خَطَرَ لي أن ذلك الصوتَ الذي ذكَّرني بـذكرى موت أبي كان نبوءةً قالت لي إن جـسدي سـيفنى دون أن أدرك ذلـك ساعتها. لكنني سَعِدْتُ بأنني استعدتُ القدرة على الرَّبْطِ وتمكَّنْتُ مـن أن أربط بين الحدثين. حتى الكلمات صارت ذات معنى في رأسي، فلقد بدأتْ تَسْتَعِيدُ مدلولاتٍ كنتُ قد فقدتُها وكأنها هي ذاكرتها التي سَـطَتْ عليهـا أنفي.

ازداد فرحي بكلماتي وذاكرتي عندما تلاشت المهمهماتُ تماما وأفسحتْ رأسي لكلمات وأفكار وصور أحسُّ بها. فرأيتُ صورا كثيرة تتضارب في رأسي وكأنها قادمة من رأس جديدة غير التي زرعتها أنفي بروائحها. وجدتُ: وجها حميما أعانقه في المطار؛ أُمًّا تنتظرُ في قلقٍ وتلهُّفٍ ابنا يعود لها؛ إخوةً يجلسون مستمعين لقرآن يُحيُّونَ به ذكرى أبيهم وكرسيا فارغا وسطهم يلفتُ الانتباهَ إلى نفسه؛ امرأةً تضُمُّ أبناءها إلى صدرها وتبكي ناظرةً إلى المدى علَّه يُظْهِر لها وجها قادما من بعيد؛ كتابا يَتَلَهَّفُ على يدٍ تُمْسِكُ به وتقلّب أوراقه؛ رجلا يصارع عضوا من جسده يستحوذُ عليه، لكن الرجل يتمكّنُ من أن يلويَ تَقَوُّسَ هذا العضو ويقهره منتصرا لكل انتكاساته؛ رجلا يستردُّ حركةَ قدميه ويطوِّعُها لإرادته؛ نهرا يفيض من جديد ليزرع الأرض برائحة وجوهٍ بسيطةٍ وحميمةٍ؛ طفلا يجري في فناء مَدْرَسَةٍ مستبشرا باكتشافاته الصغيرة؛ جسدا ينفخ نارا من فمه ليحرق ديدانا هائلة تجاهد لتلتهمه. لكنني لم أستطعْ فِعْلَ أي شيء أو أن أمُدَّ يدا لأحدٍ. فقط الخنازير كانت تتكاثر حولي. فَرِحْتُ بأنها خلَّصَتْني من امتداد جسدي في كل الاتجاهات. ووجدتُ أنفي تنكمشُ على نفسها في مَذَلَّةٍ وكأنها تطلبُ مني الصفحَ. فتركتُها لتستردَّ استقامتَها. وعندما أبصرتُ بشاعةَ المنظرِ حولي كأنني أراه لأول مرة، خَرَجَتْ الصورُ من رأسي وأخذتْ تجذبني بعيدا بقوَّةٍ كنت أظنها لدى الجان والآلاتِ الجبَّارة فقط. أخذنا نعدو إلى أن بانَتْ وجوهُ البَشَرِ على الطريق، فانتشينا و"سبقنا ظلنا".

تعامد الصور

تزكم أنفه زناخةُ جردل الماء في أقصى الغرفة. يزداد تشبُّثه بأسياخ الباب المتعامدة علّ نسمة هواء تجيء إلى تلك الغرفة المظلمة. صرخات تُصمُّ أذنيه، يحاول كل صوت أن يقول كلمته قبل أن يتلاشى الصدى، قبل أن يتكاثف الظلام تدريجيا ليمنع الرؤية للأبد. كأنه كان يسمع صوته، أو أن صوته كان يتلاحم مع آلاف الأصوات المحشورة في الغرفة الضيقة. هل سمع حشرجة قبر، أم أن صوته تمَّ تهجيره في هذه الغارات الكثيفة؟ لم يستطع أن يحسم شيئا، بيد أنه أدرك الحضور المتزامن لكل شيء، رأى كل الحالات تتجسد أمام عينيه، أو أنه لم يجد نفسه وسطها، وها هو يحاول أن يتوصل لشيء يعينه على الوعي بما يكتنفه ويحصره في هذه الغرفة الضيقة، أو في غرفة القطاع الأضيق.

عاودته صورة الحذاء المرشوق. ظن ساعتها أن من تلقاه سيفعل شيئا ليحفظ به ماء وجهه أمامه. لكنه سرعان ما تدارك موقفه، ورأى أن كل ما يحدث الآن ربما كان انتقاما أو تحريضا أو لعبة كوميدية ساخرة شديدة السادية. هشّ كل الأفكار المتواردة على رأسه ليفسح المكان لصفاء قد يساعده على الاستيعاب. لكنه أدرك الظلام وأدرك حربه الخاسرة في الغرفة الضيقة الأخرى.

كانت الدنيا ظلاما أمامه، وانكسرت عصاه إذ أنها لم تستطع أن تلتحم بصخور كانت قد تكتّلتْ في طريقه الآن ولم يدر سببا، فخرج إلى الشرفة علّ نسمة هواء تفتح له مساما أو ترفرف على رئتيه لتبعد لهاثا لا رجاء منه.

رآها على ضوء العمود الكهربائي تمسك طبقا كبيرا في حذر، ترشُّ الماء أمام عتبة الدار وكأنها تداري سوءة بدت لها أو تسدُّ مسام التربة في وجه

بذور تحاول أن تتفتَّق. هل يقفز من الشرفة لينقضَّ عليها ويمــوت أم أنــه يهرع إلى السقيفة ليخرج من باب الدار فتلتصق بخلاياه المعوِّقاتُ؟ لم يستطع أن يقرر، لكنه آثر عدم الانتحار وهبط السلم مسرعا. ملأ جردل الماء من الصنبور على عجل. فتح الباب بوجلٍ وأخذ يذيب ما رشّته، مفتّتا إيــاه في وسط الأتربة التي يسوقها الماء أمامه. وأخذ يحضر الجردل تلــو الجــردل ليغسل به آثار ما رُشّ على عتبة الدار. هل كانت واقفة على البعد تنظر إليه ساخرة مقهقهة، أم أنها لم تكن هناك، أم أنها انزوت بسرعة إلى حيث أتت في البيت المجاور، أم أنه أمسك بها وظل يطوّح بجسدها ليضربه كل حين وحين بالجدار الصلب فتنفر الدماء منه هنا وهناك لتلتحم بمجرى ما سكبه من ماء على العتبة؟

لكنه عندما أفاق وجد نفسه ضابطا، وأخذ يتحسس علامات على كتفه لم يحس بألفة معها. علامات كانت تطارده كالخطايا. يقاوم حركة لسانه كي لا تنفلت شتائم لا يقصدها. يقاوم حركة يده كي لا تضرب أحدا لم يسئ إليه. تبلغ المقاومة ذروتها وسرعان ما تتقهقر على الخط النازل ليجد لسانه جملا عاقًّا انفلت زمامه، ليجد يديه كرباجا سودانيا يضرب في الظهور رغم أن من يمسكه فوق الجمل يحس بألفة شديدة مع تلك الوجوه ويألف لعــب الأطفال على مَبْعَدَةٍ مما يذكّره بأطفاله هناك خارج الحدود.

يهمّ أن ينتزع الكرباج ممَّن يحتمي بالركوب على ظهر الجمل ويلسع ظهورا ما كان لها سوى أن تنتصب في استقامة وكبرياء، لكن عصا السلام توقفه. يرى مئات الجثث متناثرة حوله وكأن غزّة كلها بحر متلاطم الدماء. تضيع صرخاته سدى وسط أصوات تندد وكفى. هل عاد ضابطا كمــا في منــام سابق؟ أم أنها رؤيا صادقة وما كان يوما نائما؟ تنطلق رصاصة مــن علــى الجانب الآخر من المعبر لتسكن رقبته وتخرسه إلى الأبد. تتراءى صور ولديه وزوجته وطفلته الرضيعة حيةً أمام عينيه، وكأنه ما كان هنا موجودا ليحافظ

على حدود له، كأنه ما كان موجودا في مكانه الطبيعي حيث يقوم بـــدوره وواجبه، وكأن من أطلق عليه النار عجز عن أن يردّ الصواريخ التي تسبَّب فيها فضربه كي يقول أنه هنا أو كي يداري ضعفا أو سوءة بدرت له مـــن جرَّاء تصرفاته الهوجاء وعنتريته غير المحسوبة. يصرخ، فتلحّن الـــصواريخ المنطلقة هنا وهناك صراخه وكأن هذا الصراخ أغنية عُرسٍ ما كتب حرفـــا من حروفها يوما في حياته.

يتحسس عتبة الدار في وجلٍ، فتسري بعض القيود إلى أعصاب يديه. هـــل رآها تسكب الماء على عتبة الدار لتقيده بما لا يطيق؟ يعاود السؤال الظهور أمامه، وكأن هذا السؤال مَعْلَمٌ من معـــالم المكـــان. أم أنـــه رأى القنابـــل والصواريخ تتساقط في أرجاء القطاع وتفتت جسده آلاف القطع لتنثرها في الأرجاء؟ لكنه يتذكر أنهم قطعوا المياه وما هناك ماء يكفي للشرب، كما أن هذا الماء لن يتمكن من أن ينبت أجزاء جسده في تراب القطـــاع. تتقطـــع أوصاله. يجد نفسه تحت آلاف الأقدام التي تتظـــاهر في الـــشوارع دون أن ينصت لها أحد. هل رأى وزيرة تأتي من بلدها لتعلن الحرب،مخالفة لكافـــة المواثيق؟ أم أنه رأى رئيسا يصدر بيانا يندد فيه ويبين الموقف؟ أم أن وزيـــرا خرج على الناس ولم يرد على كلامها، بل قال كلاما خالف به كلام السيد الرئيس؟ يذكر أنه وقَّع على التماس جاء إليه عبر بريده الإلكتروني للمطالبة بوقف إطلاق النار. لكن ضميره لم يسترح.

عاودته المياه المرشوشة على عتبة الدار والكرباج السوداني الذي يتبختر أمام العيون والصواريخ التي تتراقص في سماء القطاع والجثث التي تنظـــر إليـــه بعتاب وعصاته المرتخية الحائرة. رأى كل الصور معروضة أمام عينيه قبل أن يتحسَّس رقبته من خلف الأسياخ المتعامدة، فيلمس بروزا أو انتفاخا، هنـــا وهناك وكأن اليدين التي انهالتا على رقبته لم تكونا إلا مـــسامير دقـــت في صفحة وجه بريء قبل أن تكتمل ليلة رأس السنة.

رتيبة

كانت الدنيا ظلاما حولها. وما أن رفرف نور الفجر حتَّى ركبتْ شيطانها وأخذت تهرول بين الحقول إلى ذلك الذي يسكن بدرب النصارى، إلى الشيخ عمران بجلالة قدره. لابد أنه سيجد لها حلا لما يؤرقها ليل نهار، لما يغلي في قلبها من ظلام، من نار تقطّع قلبها إربا كل صباح، إربا كل مساء، خرج جميع أبناء "سِلْفِها" خارج العائلة، منهم من تزوج من جهينة، ومنهم من تزوج من سوهاج، إلا واحد. كانوا دائما يطفئون نار الحق التي كانت تشعلها قبل كل زواج. ها هي بنتها على وشك البوار. هم امتلكوا كل شيء، المال والصحة والمناصب. وهي لم تمتلك أي شيء سوى دبلومٍ للبنت الكبرى ودبلومٍ للبنت الوسطى. لم تجد إلا دبلومين يتزوجاهما، وها هي تقتطع من جسدها ومن قوتها ومن أرضها لتبعث لبنتيها بالأكل....

لا يمكن أن يكون نصيب البنت الثالثة مثل نصيبهما! كيف لا يتزوجها ابن عمها؟ لابد من فعل أي شيء. لابد أن الشيخ عمران سيفعل شيئا. لابد. وإن لم يفعل شيئا سأقاطعه إلى الأبد وأبحث عن شيخ غيره. كان في كل مرة يأخذ الرخيص والغالي لكي يربط هذا أو يربط ذاك. لكنهم ملاعين. كانوا بمالهم يذهبون لمن هو أقوى منه ليفكَّ ما دفعتُ فيه كل شيء. حتى الشيوخ مقامات. كانوا يفكُّون ما ربطْته وتسلم زيجاتهم. هذا أملي الأخير. سأبيع كل شيء لكي أُعْمِيَ عينيه، سيربطه ربطا لا ينفكُّ أبدا. ها هي خطوبته الخامسة تفشل حتى الآن. لكنه فكَّ العمل الأخير، وها هو يتقدَّم لأخرى. سأفعل كل شيء، إن قاتلة أو مقتولة. لن يسلم مني هذه المرة. بركاتك يا

شيخ عمران! أيظن أن ما دفعه في علاج زوجي سيغريني؟ سيسكتني؟ لا، لا. ما أربعون ألفا في بحر أموالهم؟ مجرد دُعَامَاتٍ زرعوها في قلبه لا غير، كأن يزرع ابني فرعين نعناع نضعهما على الشاي المغلي. ويبدو أنهم لم يسامحوا في هذه الأموال، فزوجي مات بعد العمليَّة بسنة واحدة. كانوا يقولون إن الدعامات التي غرسوها في قلبه أرجعت قلبه سليما معافى. لكنهم نصابون، فعلوا ذلك فقط لكي يسكتوني. وأنا لا أسكتُ. أيسكتُ أحدٌ على حقٍّ له؟ أليس من المفترض أن تكون ابنتي زوجةً لأحدهم؟ لـه؟ ألم يأخذوا كل شيء؟ لِمَ لا يأخذونها هي الأخرى وينقلون بيتنا من حال إلى حال؟ لِمَ لا ينقلونه من حال إلى حال؟ يظنُّون أنهم بِحِيَلِهم المكشوفة سيكمِّمون عيني! وهل أنخدعُ بتلك الأموال التي يرسلونها لبنتيّ أو يعطونها لابني أو لزوجته في المواسم والأعياد والمناسبات؟ لا. لن يكمِّمَ عيني أي شيء. أنا متيقِّظةٌ على الدوام. لن أسمح لأحد أن ينهب حقَّ بنتيّ. لو كانوا قد تزوجوا بنتيّ لكانتا في راحة الآن. يتقطّع قلبي آلاف المرات في اليوم وأنا أراهما بلا أكل، بلا لبس، بلا حياة. هل يمرُّ كلُّ ذلك سدى؟ لا. إن كنتُ لَم أمتلك المال ففي الشيخ عمران قوَّةٌ لا يمتلكونها، لن يستطيعوا مقاومتها، قوة ستقضي على كل شيء لديهم. سأجعل قلب ابنهم يتحسَّرُ إلى الأبد. سأجعله منكسرا بلا زوجة أو ابن أو أي شيء. دع منصبه يفيده....

تُسْرِعُ خطاها. ها هي اقتربت من "حسام الدين" وعليها أن تعرج يمينا إلى درب النصارى. تتذكَّرُ أختَها. ألم تكن أمُّه هي السبب في أنها لم تتزوج حتى الآن؟ عندما جاءت أمه إلى العائلة، كانت أختها في مثل سنها، ربما تزيد شهورا...

لكنها كانت في سنِّ الزَّواج. ولَمَّا كانت من عائلة كبيرة ظنَّ الناسُ أننا لـــن نزوج أختي لعائلة أقل من عائلتها.... لأعرُجْ يمينا. ففي كل خطوة أخطوها نحو الشيخ عمران إشفاء لغليلي. كل خطوة تريحني إلى حين. لكـــنني لـــن أرتاح فعلا إلا عندما أراه يموت من الغيظ أمامي. مادامت بـــنتي تَظَـــلُّ في حضني، فليظلّ هو في حضن أمه التي أوشكت على الموت ولن يجد بعـــدها حضنا يضمه. فليظلّ هكذا مُعَذَّبًا، مُؤَرَّقًا، مُتَقَطِّعَ القلب إلى الأبد. لن أكتفي من الشيخ عمران الآن بالرَّبْط. سأجعله يفكُّ زمام عقله إلى أن يـــرمح في "الحماد"، فلا يعرف لنفسه خطوات، لا يعرف له مربطا. ألا يفتخـــر بـــه إخوته؟ سأجعلهم جميعا يتحسَّرون عليه، يتحسَّرون على شبابه. وســـأظلُّ وراءهم الواحد تلو الآخر إلى أن تضيع عقولهم في طيَّات أعمالي، في طيَّات أسحاري، أنا التي لا أمتلك إلا بنتا الآن لأدافع عنها بكل ما لديَّ من قوة، بكل ما تدرُّه تلك القراريطُ التي أعطوها لنا، هذه الفدادين التي اقتسموها معنا بعد أن مات جدُّهم. أليسوا لديهم الأمـــوال؟ ألم يـــستحوذوا علـــى المناصب؟ لِمَ لم يتركوا الأرض كلها لنا؟ ألسنا أَحَقَّ بها؟ نحـــن لا وظـــائف لدينا. ابني الوحيد لم يحصل على أية شهادة. ألم يكـــن مـــن الواجـــب أن يتركوها له ويكتفوا هم بوظائفهم ومناصبهم؟ يحبُّون أن "يكوّشوا" على كل شيء. وأين ذهبت أنا؟ أنا لهم بالمرصاد. في كل حين أنا لهم. لن أتـــركهم ينعمون بشيء. سأكتفي الآن بجعلهم جميعا يتحسَّرون. ســـأكتفي بجعلـــهم مغمومين مقهورين، يركبهم الهَمُّ ليلَ نهارَ لما يحدث لأخيهم الأصغر، لما أفعله أنا به. فلتنفعهم مناصبهم. فلتنفعهم أموالهم. أنا سيِّدة البيت. أنـــا ســـيِّدة الأرض. ولابد أن أعود سيِّدةً كما كنتُ. لابد أن يعود كل شيء لي. سأظلُّ وراءهم إلى أن يموتوا جميعا من الغيظ أو الهَمِّ ويعود كل شيء لي. لن أتركهم يتمتَّعون بشيء. ألم يتعلَّموا جميعا من دَخْلِ تلك الأرض التي من المفروض أن

تكون لنا كلها؟ لِمَ لا يعطوننا الآن نصف ما يحصدون من أموال ما كـــانوا ليحصدوها لولا تعليمهم؟ يعبّئون أموالهم في جِوالات، لا يَشْقُونَ في الأرض موسما بأكمله حتى يحصدوها. وأنا أَشْقَى ليلَ نهارَ في تربية الفـــراخ، تربيـــة الأرانب، صنع الجبن، لكي أبيع كل ذلك وأصرف منه على بنتيَّ المتزوجتين. وبعد كل ذلك يأتي هو ساعة وصوله بزوجي من مصر بعد العملية ويطلب مني جبنة قديمة! يقول إن ضغطه انخفض من السواقة طوال الطريق ويريد أن يرفعه قليلا! أنا أعطيه جبنة!!! نجوم السماء أقرب له. وهذا ما أريـــده. فلينخفض ضغطه على الدوام إلى أن يُدَكَّ بالأرض. وابني يعمل ليل نهار في الأرض ولا تدخل لنا أموال إلا مرتين في السنة، إلا حين تحنُّ علينا الأرض بما فيها. هل الأرضُ أرحمُ منهم؟ أيعقل هذا يا بشر؟ أن تكون الأرضُ أرحمَ من البشر؟ إن كانت قلوبهم طوبا أحمر هكذا، فأنا سأجعلها تتفتَّـــتُ مـــن الحسرة. لن أتركهم يسعدون يوما. فلأسرع الخطى إلى الشيخ عمران كي لا تتبقّى في أيامهم لحظاتُ هناء أو راحة بالٍ بعد الآن، كي تنكسرَ جميـــع قلوبهم مثل قلب زوجي الذي ادّعوا أنهم أصلحوه، ولكنه لم يظل ســـليما أكثر من عام. سأجعل كل قلوبهم مثل قلب زوجي. سأُحطِّمُها. سأُهَشِّمُها. لن أجعلها تعمل بعد الآن. سأميتهم حسرةً على ما فعلوه بي، لما أراه مـــن حال بنتيّ، لما أراه من حال بنتي الجالسة بجواري لا تفارق البيت أبدا. مادام ابن عمها لم يتزوجها من سيأتي لخطبتها؟ قلبي يتحسَّرُ على بنتي، يتقطّع على بنتيّ الأخريين. سأجعل قلوبَهم تتمزَّقُ على ابنهم الذي يفتخرون به. أنـــا سأجعلهم لا شيء. سأردُّهم إلى ما كانوا عليه. سأجعلهم يـــضيعون كـــل أموالهم على السحرة حتى يفكُّوا ما أربُطُهم به، ولن يقـــدروا. ســـأكتب للشيخ عمران نصفَ فدّانٍ بأكمله حتى يعملَ لهم عملا لا يفيقون منه أبدا.

ربما وكأن

حركات وئيدة تكاد تموت على المَدَقَّات بين الغيطان. إذا ما رفعتَ رأسك قليلا، ستجد أقداما انفتحت بها بعض الشقوق. ارفع عينيك أكثر، ستجد الأرجلَ نحيلةً وضامرةً ولن تعرف للسراويل التي كانت بيضاءَ لونًا محدَّدًا. سترى "الصديري" ملتفًّا حول صدور نافرة دون امتلاء، ولو دقَّقتَ النظر لاستطعت أن تعدَّ العظامَ. وإذا طال بصرك، ستبصر القلب ينبض بشدَّة وكأنه يتمرَّدُ على شيء ما أو كأنه حُمِّل بما لا يطيق. وها هو يرتجف، يهتزُّ، يتمرَّدُ، ولا يملك إلا أن يعود إلى مكانه غير راضٍ. وعندما ترفع عينيك إلى الوجه، ستصدمك التجاعيدُ التي دبَّت فيه وترعرعت وكسته بسمرة رمادية قد تستشفُّ منها أن هذا الوجه عاش مائة عام. لكن بعض العيون – بالرغم من طبقات الحزن أو الشرود التي تكسوها – ستقول لك إن هذا الوجه لم يبلغْ من العمر شيئًا، وستشي لك بدفقة حياة متجمدة في العيون ربما تحاول الإفلات من قبضات السكون والتوقف. لكن محاولاتها لا تلبث أن تُحَاصَر بالرغم من الثقوب التي ملأت الطاقية والبلى الذي تسرب إلى الشال الملفوف حولها.

بعض الأغنام عائدة إلى حظائرها يسوقها صوت ناي ينفطر من روح راعٍ يسير بخطوات متوانية بطيئة، كأنه لا يودُّ الرجوعَ، ولا يقدر أن يرى هُزالَ الأغنام. لكن عليه أن يرجع. فأشعة الشمس البرتقالية – التي لا تحمل برتقالا ولا ليمونا ولا رمانا – تطالبه بالعودة، خاصة وأن حمرتها طغت على

اللون البرتقالي، وكأنها تصيح فيه مهدِّدةً منذِرةً، وكأنها تسوق خطـاه إلى الحظيرة أو البيت الذي ربما كان صاحب "عمارة الفقراء" يحلم به لكنه مات قبل أن تظهر بوادر حلمه.

ها هو يعود وها هي القرية تستقبله بفتور وربما بلامبـالاة. أول مـا يصادفه شجرةُ الصفصاف على أعتاب القرية، وقد سقطت كل أوراقهـا وأصبحت أغصانها جافة شمطاء تضنُّ بأي شيء. ربما وربما وربما... يقولون كلاما كثيرا، قد يختلف في تفاصيله، لكن مغزاه محفورًا في قلوب الأهل التي اهتزت من جرَّاء الحفر. ففكَّروا في مقاومة الحفر بالحفر، لكن الأرض تبخل حتى بما أَخَذَتْه.

ستدخل القرية. لن تجد بيوتا طينية أو أعشاشا أو أكواخا. سترى بيوتا "مسلّحة" حمراءَ الطُّوب اصطفت على يد بناء ربما كان يحلـم أن يجعلـها قصورا أو بيوتا جميلة، ربما كان يحلم أن يرى فيها أثاثا يستر من برد الشتاء وعيون الضيوف التي قد تتلصص لتستكشف الحال. ربما كان يحلم أن تدب راحة البال ويسار الحال بين جدرانها. ربما كان يحلم أن تمتلئ الحظائر الـتي بناها في مؤخرة البيوت بالمواشي والأغنام. ربما كان يحلم أن... لكنه أكمل "الصبَّة" للدور الأول دون أن يستطيع أن "يَصُبَّ" الدور الثاني حيث "عزَّ" الحديد وشحَّ وطار ثمنه في أعالي الأفق البعيد. فبقيت حظيرة واسعة خاليـة من أي شيء إلا غنمة أو غنمتين هزيلتين، و"منضرة" واسـعة بهـا بعـض الدكك التي تكسوها فرّاشيّات يتيمة ينام عليها الأولاد والشباب بدلا من الضيوف، وإن جاء ضيف يشاركهم النوم عليها، وحجرةٌ داخلية مفروشة

بالحُصْرِ التي تنام عليها البنات. وإذا صعدت إلى الدور الثاني، ستجده أجرد من أي شيء إلا حِرَاما مفروشا على الأرضيَّة لينام عليه الحاج والحاجة وبجانبهم صندوق خشبي به بعض الأشياء القديمة التي جلبتها العروسة/ الحاجة معها ليلة دخلتها. فتلاشى معظمها مع الزمن وبقيت بعض الأشياء التي تقاوم البلى أو الكسر أو عبث الأطفال أو عيون الحاسدين الذين كانوا يجدون في زمن ولى أشياء يحسدونها. فخُزِّنت في هذا الصندوق لتعود إليها الذكرى من آن لآخر. كانت هذه الذكرى كثيرة الحضور فيما مضى. أما الآن فما عادت النفوس إلى ذكراها، وما عادت تحتمل التذكر. ففي الذكرى حياة وعندما تشتد المقارنة يركن في النفوس اليأس وربما التمرد على ما صار. في جانب الحجرة سرير بعمدان حديدية: تلاشت الملاءة التي تكسوه أعلى العمدان وضاعت بعض الألواح الخشبية التي كانت تفرش أرضيته، ربما حزنا على المرتبة التي عبث بها الزمن كما شاء، فبقيت بعض الألواح شاهدة على سرير كان يهتز يوما ما من نبضة حياة بين قلبين متآلفين. ولم تعد هذه الألواح تنفع في أي شيء إلا أن توضع عليها ملابس الرجل وزوجته بعد أن كبرا قليلا وشاخ قلباهما من الهم أو ضيق الحال أو رؤية أولادهما عاجزين عن الشعور بنبضة الحياة.

مأتم

العيون المجهدة العائدة من الحقول تترك نظراقا المثقلة تلقي بنفسها على أعتاب البيوت. وبالرغم من أن الرموش تكاد تنطبق على بعضها – ربما تريد أن تظل هكذا للأبد – إلا أنها تنفتح فجأة عندما تصل إلى الرَهَبَة[1]، فلقد رُصَّت دكك ما أنزل عليها أحد مراتبَ أو فراشيَّات. وتجمّع عليها من وصل من الحقول بوجوه بائسة يلبد فيها الوجومُ. سيستغَرب الداخلُ، فلا اليوم يوم فرح في أحد البيوت، كما أن عادة الزواج تنازع الاحتضار. لا شيء يستدعي التجمع الكثيف بهذا الشكل. كل ما يمكنك أن تراه في الأوقات العادية أن تجد رجلا سحب دكة من منضرته ووضعها أمام البيت في هذا الحر ليفضفض لجاره أو يسحبان أنفاس الشيشة معا وربما قَدِمَ ضيفٌ فيجلسون يتناقلون الأخبار أو الهموم حتى تبدأ الأفواه في التثاؤب فيلملم كل منهم أطراف همومه ويمسِّي بالخير علي الآخر داعيا له براحة بال لا تأتي، وربما يسحبون الراديو من البيت ويفتحونه بجوارهم ليسمعوا أخبار غزو الكويت من إذاعة مونت كارلو أو صوت أميركا.

لكن القادم لا يرى شيئا من ذلك، فقط الرجال مصطفون علي الدكك واجمين صامتين لا تكشف أفواههم إلا عن عبارات قصيرة قد لا تكون مسموعة، والتجاعيد التي تملأ الوجوه عمقا والتواءً وكأنها حشرجة الموت. كما أن هناك جهاز تسجيل علي طرف إحدى الدكك وصوت عبد الباسط عبد الصمد ينسلّ منه عاليا رزينا رصينا وقورا حزينا يستحثُّ الناس علي الصبر وعدم الجزع. ستدهش كثيرا عندما ترى ذلك. فلم يمت أحد بالقرية. فإذا مات أي شخص، رجلا كان أم امرأة، طفلا كان أم شابا أم عجوزا، يلقي كل شخص ما بيده سواء أكان في الحقل أم ذاهبا إلي السوق

[1] الرهبة عبارة عن ساحة القرية أو فنائها أو ميدانها الذي يعد البؤرة التي تنفتح عليها البيوت.

أم إلي زيارة أحد بالقرى المجاورة، ويصطفّون في الرهبة، يُحضرون الكفـــن والعطور من دكّان عبد الحميد الزهري في القرية المجاورة، يسخّنون الماء و يغسّلون الميت بعد أن ينادوا في ميكرفون الجامع عليـــه. وعنـــدما يـــصلُ الغائبون والأقرباء من القاهرة أو الإسكندرية أو الغردقـــة أو الـــسويس أو مرسى مطروح، يستوي الميت على الحسنية[2] ليرتفع على الأكتـــاف الـــتي تتبارى على الإمساك بأحد أطراف الحسنية الأربع وتود أن تآجر[3] وتتملّك عدَّة قراريط في الجنة لتنعم براحة لم ترها أو ترَ جزءا منها في حياتها الأولى. وفي الطريق "يُآجر" آخرون طمعا في الملكية الخالدة ورضا الدائم..... يفتح الجامع ذراعيه لاَستقبال من كان يوما ما يأتي ساجدا أو راكعا أو مـــصليا علي من سبقوه. وبالرغم من أن بعض الناس في الطريق كانوا يتقوَّلون علية ويذكرون ما لا يُذكر عن الميِّت، فإنهم يقفون خاشعين متمنِّين لـــه حُـــسن الثواب وترطيب الطوبة تحت رأسه في مسكنه الجديد.

عندما تفيق العين من شرودها، لا تجد أحدا قد مات ولا تجد حسنية أو كفنا، فقط تجد أولاد الحاج محمد رحمه الله بائسي الوجوه يكاد الدمع ينفطر من أعينهم، ولولا العيب، لتركوا دمعهم يهدر ويغرق الرهبة كلها. مـــاذا حدث؟ أينقصهم حزن أو ضيق أو ألم؟ سيميل علـــى أحـــد الـــواقفين في الطرف. وستنشق آهـــــــــــة يمكـــن أن تفجّـــر الجبـــل الغـــربي، جـــــامـــــــــوســـــــتـــــهـــــــــــــــم مـــــــــــــاتـــــــت. جملة/ طلقة لا يمكن أن يحتملها أحد هنا، جاموسة يتيمة وحيدة تسند جدار بيت بأكمله، جاموسة تتخلى عنهم في وقت كانت بطنها قد انتفخت وأوشت بقدوم بطش[4] يمكن أن يجلـــب بسمات على الشفاه المتشققة الظامئة للابتسام، جاموسة تبخل بلبنها الدافئ الذي يشربه الصغار والكبار ويقتاتون على جبنه، جاموسة تنسحب في وقت

2 الحسنية قطعة أثاث يحمل عليها الميت إلى القبر.

3 يآجر أي ينال أجرا في الآخرة هنا.

4 البطش هو صغير الجاموسة المولود حديثا.

لا يرضى أحد، حتى لو كان لا يؤمن بإله رحيم، أن ينسحب فيه ويترك أفواها مفتوحة في انتظار المطر، وما زمنك بصاحب مطر ولا تمر ولا لبن.

تتحرك الأيدي في بطء، في دفء، في فهم، تُرَبِّتُ علي أولاد الحاج محمد، يحسُّون بالأيدي، لكن شفاهم لا تتحرك بأي حرف أو كلمة، فقط العيون شاردة، ساهمة ، تنظر إلي نقطة مظلمة في الغد. يحاول أحد الجيران أن يخفِّفَ من وقع المصاب، فيقول "وَحِّدُوه"، "لا إله إلا الله" تخرج من القلوب صادقة بالتأكيد، لكنها تترك بقايا حزن متجمدة علي القلوب لا يمكن أن تذيبها حرارة الصدق ."ونعم بالله " يقولونها أخيرا بعد أن تتسرَّبَ إلي القلوب بقايا يقين كانت متوطِّدةً في الدماء.

عندما يدرك أحد الجيران أن شدَّةَ الموقف بدأت تلين بطيئا، يدخل بيته ويخرج ببراد شاي كبير وبعض الأكواب. يبدأ في صَبِّ الشاي. يسقي أولاد الحاج محمد أولا ثم يوزع ما تبقي من أكواب علي من بجوارهم. يميل علي أذن ابنه ويهمس ببعض الكلمات. فينطلق ويدخل بعض البيوت. يعود بمجموعه من أكواب الشاي الفارغة، وتبدأ الأكواب في الدوران علي الواقفين والجالسين والمتكئين علي الحوائط، رشفات لا توحي بلهفة في الشراب ولكنها تحبس بعضا من قطرات الحزن المترسبة في قاع القلوب. ربما يدور شخص آخر بعلبة سجاير. يأخذ منه من يرغب، ويحجم شخص آخر خوفا من الموقف أو احتراما له.

يقوم بعضهم ويتقدمون الواحد تلو الآخر إلى أولاد الحاج محمد، يسلِّمون عليهم سلاما رقيقا ناطقا مواسيا: "شد حيلك يا أبا محمد". "الشدة على الله يا عم الحاج". "خيرها في غيرها". "أخذت الشر وراحت". "ربنا يعوضكم يا أبا محمد". "عليه العوض ومنه العوض يا خال". يبدو أن هذه الكلمات قد استلت بعضا من أكوام الحزن التي تراكمت فوق وجوه أولاد الحاج محمد، فها هم تنفتح أساريرهم قليلا وتبدأ أفواههم في الكلام وربما الثرثرة.

ملامح

في نهاية المدق على الطريق، بجانب الترعة الرئيسية، يجلس أبو أيوب وأبو العريان. أشعة الشمس الحمراء تتجمع فوق رأسيهما وكأنها تحاول أن تشعل فيهما النار، وتحوِّلهما جمرةً متَّقدةً للأبد أو رمادا خابيا قد يجمعه أحدُ السحرة ويستخدمه في فكِّ طلاسم رَصْدِ كَنْزٍ مخبوءٍ في باطن جزء ما من الأرض. ينظران إلى نفسيهما في الماء فيريان شخصين يتحركان بعنف ورعب ويحاولان ألا يغرقا أو تسحبهما دوامةٌ ما إلى قاع الرئيسية.

- وماذا بعد يا أبا العريان؟

- وماذا بعد يا أبا أيوب؟

يلتقط كل منهما فرعَ شجرةٍ صغيرا يابسا ويخطِّطان أشكالا وصورا وحساباتٍ على الأرض، تتداخل وتتعقد علاقاتها فلا يمكن الخروج من المتاهة التي عبّر عنها الفرعان الصغيران، فقط تشرد العيون التي تحاول أن تبصر دربا. يتسرَّبُ إلى قلبيهما قدرٌ من الفزع، فينظر أبو العريان إلى أبي أيوب في رعب وكأنه يوشك على الغرق:

- لن يجدي أن نجلس هكذا!

- ماذا فعل من معهم فلوس؟!! كانت في أيدينا وراحت كما جاءت!

– أنا آسف، لا أقصد أن أجرحك.

- لا تشغل بالك يا أبا العريان، الجرح الذي عندي عندك.

- والهم يلحق بي كما يلحق بك.

ينظران إلى الأرض الواسعة حولهما. تمدُّ الأرضُ إليهما خيوطا، ضعيفة تبدأ، ثم تشرع في التشكُّلِ الواضحِ ويقوى عودُها، فتَتَّضح مناطقُ الرؤية وتظهرُ أشباحٌ تتماوج في الحماد، تتشكَّلُ في أجسامٍ قويةٍ يافعةٍ تتدفَّقُ الحياةُ في عروقها. تتحرك هذه الأشكال في عصبية وعنف وكأنها تصارع شيئا ما لا يمكن رؤيته، فتبين ملامحُها مع الصراع، ملامحٌ ليست غريبة عليهما، قد يشوبها قدرٌ من الغموض لكنهما يحسَّان بألفةٍ معها، وكأنها جزءٌ منهما أو ملامحُ لأقربائهما. يشتد الصراع وتبدأ الأشكال في تحريك يديها بشدَّةٍ وكأنها تمسك سيوفا وتحاول أن تقتل شيئا ما. يبدو أن هذا الشيء شديد البأس، فالسيوف ما تلبث أن تتكسَّرَ وتبدأ الأشكالُ في الضمور إلى أن تتحوَّلَ إلى هياكلَ عظميةٍ هشَّةٍ تتكسَّر وتسحب معها خيوطَ الرؤية، فيشرع المكان في إطلاق خيوطه السوداء لتستولي على المكان تدريجيا...

التَّلِّيسُ

بعيدا على ضفة الترعة، ينفجر نباح كلب بدون مقدمات، يبـــدو أن غريبا يدخل حدود القرية. فالكلب لا ينبح إلا على من يتوجس منـــه أو يخاف أن يكون سارقا أو متعدِّيًا. يشتدُّ النباحُ ويبدو أن الغريب حـــاول أن يضربه، فالكلب يجأر من الألم، ويتقطع نباحه ليعلنَ ألما عاويا وغدرا تسلَّلَ من عصا غليظةٍ أو طوبةٍ ضخمةٍ شديدةِ الجفافِ. يعلو النباحُ ويملأ كل ذرَّةِ هواء في الأفق، لكنه فجأةً يجأر ويطول الصوت ويمتد إلي أن ينقطع ويظـــل همهمة ضعيفة سرعان ما تفترُ، يبدو أن حيوانا ما، ربما حمـــارا أو جمـــلا أو حصانا، رفس الكلبَ في بطنه فأرداه فاقدَ الوعي لا يقدرُ على الحركـــة أو حتى النباح.

يبين في نفس الاتجاه شبح حمار مسرع الخطى، وفوقه شـــبح شـــخص ضخم نوعا ما، يقترب أكثر فتظهر ملامحه. فمازالت العتمة لم تستولِ على المكان بعد، ومازالت هناك بقايا ضوء من أشعة الشمس التي اختفت خلف الجبل. يظهر زايغ أبو الدهب على حماره المعتاد وفوق البردعـــة تلـــيس[5] مربوط من فتحته جيدا على شيء ما يستوي على طرفيِّ البردعة. ودون أن يُلقيَ على مجدي ورمضان السلام، ينغز بطن حماره بكعب حذائـــه فيبتعـــد الحمار، تاركا وراءه غبارا يتطاير وكأنه يحاول أن يخفي شيئا ما. يهمُّ رمضان أن ينادي عليه، لكن مجدي يوقفه واضعا يده على فم رمضان وشادا علـــى يده، وكأن مجدي يعرف أشياء مستورة ويريد أن يمرَّ زايغ دون أن يـــدرك

5 التليس عبارة عن جوال طويل نوعا ما يوضع على ظهر الحمار ويستخدم لحمل الغلال والدقيق والخيار وما إلى ذلك مما يرتبط ببيئة المزارع.

أهُما يعرفان شيئا. بعد أن يتلاشى شبح زايغ في الأفق، يلتفت مجـــدي إلى رمضان:

-دعه، فاحت رائحته.

-أي رائحة؟

-لا تؤاخذني يا رمضان، أنت تعيش مع نفسك، ولا تعرف ما يحدث في البلد.

-يحدث!! أهناك شيء آخر غير الهمِّ الذي نعيشه؟

-ها هو زايغ مثلا، هل تعرف ما يفعله؟

–كل ما أعرفه أنه يشتري كل يوم بهائمَ وأرضا.

–وهل سألت نفسك من أين يأتي بالفلوس؟

-أكيد ربنا موسِّع عليه في رزقه.

–لا وأنت الصادق، التليس موسِّع عليه في رزقه.

ينفجر رمضان في الضحك رغما عنه وكأن مجدي ألقى نكتة

مسَّتْ جذورَ قلبه: "حلوة هذه، هل صار التليس يرزق هذه الأيام؟ تصور يا مجدي لو وضعت هذه الفكرة في قصة ستفوق الروعة. تصور تليسا واقفا في أول البلد وتصحو الناس في الصباح تتبرَّك به فيرزقها. آه لو تحقَّقت هذه الحكاية، ما كان أحد أتعب نفسه أو شال الهمَّ أو تبهدل ليل نهار وراء لقمة عيش لا يستطيع إمساكها". صامتا يجلس مجدي، لا يقاطع، فقط ينظـــر إلى رمضان في هدوءٍ وتمعُّنٍ، يعجبه رمضان عندما يسترسل بهذه الطريقة.

عندما يبدأ رمضان "يفصل" عما حوله ويحلِّق في سماء استرسالاته وتجعله شطحاتُه ينسى كل ما حوله وما يمكن أن يقيده في مَرَابِطِ همـــومٍ غليظـــةٍ،

تنفكُّ أساريرُ مجدي ويمنح نفسه للحظة متدفِّقة بحياة خالصة وحرية يمكن أن تلغي إحساسه بالعجز. "وآه لو أن وجهَ أحدٍ لم يَرُقْ للتليس، لن يعطيه رزقه. ويذهب ليشكوه لكبير التلاليس وتحصل مشكلة عويصة، وتبدأ التلاليس "تخبّط" في بعضها البعض...". ينفجران في الضحك البريء وكأنهما طفلان عثرا على لعبة جميلة مسلِّية فيزرعان المرح في الأرض المتجهمة حولهما. يُنْزِلُ رمضانُ يدَه في ماء الترعة، يملأها بالماء ويقذف بها في وسط الترعة... "وتخيل أن يُرسِلَ التليسُ فتّانين مثل سيد العبد ليتجسَّسوا عليه ويبلِّغوا عنه...". يضع مجدي حذاءه على ضفة الترعة وينام على ظهره واضعا رأسه على حذائه بعد أن يشبك يديه خلف رأسه... "وأرى سيد العبد الآن يدقُّ بابَ هذا الرجل المسكين وكأنه يزوره ليسأل عنه، يجلس، يشرب الشاي، ويسأله أسئلة كثيرة، مدَّعيًا أنه يريد أن يساعده و"يمشي له في الخير"، والرجل المسكين يُخرِج كل ما في قلبه. ويمشي سيد والرجل يظن أنه سيسعى له في الخير".

يستدير رمضان، يدلي رجليه، ويعبث في الماء الذي يمنح قدميه دغدغة خفيفة تعطيه إحساسا بالحياة ونشوة بجمالها لبعض الوقت... "بالله عليك لا تذكّرنا بأي أحد، الواحد بدأ يخرج من الجو الكاتم على نَفَسَه...". "تخيل إن المغربي سمع عن هذا التليس والرزق الطالع منه كل يوم دون أن ينفد. سيجيء يدور حول البلد في الليل و"يقرأ" على التليس ويحرق بخورا إلى أن يطير التليس ويروح في المكان الذي يريده المغربي فيه. والناس هنا تقعد تندب حظها...". يتجهمان قليلا، ولكنهما سرعان ما ينفجران في الضحك. ينظران إلى زايغ. لا يجدان له أثرا، فالظلام استولى على المكان وترك صوت ماء الترعة يهمس لآذان تستنطق الأشياء، فيلملمان ضحكاتهما ويبدءان في الإنصات.

فروة الرأس

يسدُّ مجدي فتحةَ مجرى الماء بعد أن يتأكد بقدميه من وصول المــاء إلى كل أنحاء الغيط. يسمع صوتا غريبا يلقي السلام. يرتجف قلبه قليلا، لكنــه سرعان ما يتماسك ويرد السلام. "غريب تائه يا ابن العــم". بالتأكيــد لا يوجد ما يدعو للخوف، الطريق على حدود القرية درب يمتد ما بين الغيطان والجبل. "أهلا بك يا عم"، يقولها متذكرا تيهَه في ليلة مــشابهة والكــلاب المسعورة التي زامت عليه وأوشكت أن تنهشه لولا أنه وجد رجلا ينجــده ويبيته عنده. الظلام يغالب الضوء في "الرَّهَبَة"، فمعظم لمبــات الأعمــدة الكهربية حطمتها الأحجار أو الحصوات التي قذفتها أيدي الأطفال وهــي تلعب هنا أو هناك، أو تصوب بها نحو المصابيح عامدة، وكأنهم في مبــاراة، ومن يكسر أكبر عدد من المصابيح يفوز في المسابقة، كمــا أن المــصابيح الموصَّلَةَ من البيوت والمعلَّقَةَ أمامها في الجزء البارز من الصَّبَّة والمخــصَّص للشرفات في الدور الثاني مطفأةٌ، فلقد نام معظم الناس وأطفأوا كافة الأنوار استعدادا ليوم جديد من الشقاء، ومن مازال مستيقظا منهم، أطفأ الأنــوار كي لا يراه أحد يتألم أو يشعر بنظرة شفقة في عيون أي شخص. حتى مــن ظل مستيقظا يتقلب علي جنبيه دون أن يستقر علي شيء، فوض أمــره لله وأغمض عينيه في انتظار النوم الذي قد يحلُّ عليه بسرعة من التعب....

تقذف الشمس بأشعتها القاسية في هذا الصباح الذي لا يبشِّرُ باعتدال جو، وتجذبُ الرموشَ التي لم تنفتحْ بعد في قسوة وخشونة، فتصحو الوجوهُ ذات عيون مُحْمرَّة كأنها لم تنمْ ليلة أمس. يتسلل مجدي من على الدكــة. يصلي على عَجَلٍ. يخرج ويهمس في أذن إحدى الجارات. يفتح الباب، يجد الضيف جالسا على الدكة يفرك عينيه اللتين لا تخفي آثارُ النوم بريقَهمــا، يرتدي جلبابا صوفيا برغم الحر، وفوقه عباءة صعيدية أو عربية، وفوق رأسه

عمامة نظيفة، وتتدلى من رقبته سلسلة ما، لا يبين ما معلق بها، لكنها تبدو ذهبية، سميكة نوعا، وإن كان ذهبها قد فقد بريقه، كأن هذه السلسلة معلّقةٌ في رقبته منذ زمن بعيد قد يبتلع أكثر من نصف عمره، في عينيه بريق من نوع ما، له سحره، جاذبيته، يلفت النظر إليه من أول وهلة، قد يحسُّ فيه الناظر نوعا من الصفاء، سرا لا يمكن تحديد كل أبعاده، قوةً مغناطيسيةً تجعل من ينظر إليه يرتبك، يحتار، لا يستطيع أن يتصرف على طبيعته، فدوما يحس أن هناك قوة غير عادية تحيط به، تفقده قدرا من حريته، تلقائيته، وربما ألجمته وأظهرته في موضع الضعف والخضوع دون أدنى تفكير. يُخْرِجُ من جيبه حبَّات لا يعرفها مجدي، حباتٌ صغيرة لا يتجاوز حجمها حجم حبات الكمون أو البرسيم، مدورةٌ في استطالة، لونها يشبه لون السكَّرِ المحروق، أو الطبقة المحروقة التي تغطي السرسوب6 عندما ينضج، يضعها في فمه ويمضغها وهو يديرها في كل جزء من فمه، يلتفت إليه مجدي:

– هل أحضر لك الماء لتغسل وجهك هنا أم تجيء إلى السقيفة.

– لا تحضر شيئا، لا أريد أن أغسله.

يقول هذه الكلمات وينظر إلى مجدي في ثبات، فلا يستطيع أن يكرر عرضه، أو حتى يقترح على الضيف الوضوء للصلاة. يصوِّب الضيف عينيه على عيني مجدي، فيحاول مجدي أن يدير عينيه بعيدا، لكن كلمات الضيف التالية تثبّته في مكانه، فلا يعرف ماذا يقول أو ما يمكنه أن يفعل:

– تفكر أن تحضر لي ماء للوضوء، أليس كذلك؟

تفرُّ أفكارُ مجدي في كل اتجاه، لم يقترح عليه، لم ينطق حتى بكلمة واحدة، لم يومئ حتى بفعل مشابه لفعل الوضوء أو الاستعداد له،كأن يشمّر كمه مثلا، أو يدعو بالدعاء الذي يدعو به قبل الوضوء، "كيف عرف ابن الجنّية هذا

6 السرسوب هو أول لبن يحلب من الدابة بعد أن تضع مولودها مباشرا، وبعد حلبه يطهى ويؤكل.

أنني أريد أن أحضر له ماء ليتوضأ؟!! كيف قرأ ما يدور في رأسي!!! كيف دخل عقلي واطّلع على ما فيه!! أهو ساحر يقرأ الأفكار!!! هل يمكن أن يكون يعلم الغيب!! أستغفر الله العظيم، لا يعلم الغيب إلا الله. لكنه علم بما يدور في نفسي،أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". عندما يدرك أنه بدأ يتوه، يشد لجام أفكاره ويوقفها كي لا تدخل به في المحظور، فإذا دخلت سيخسر كل شيء يتكأ عليه في دنياه، فقط يخرج عندما يسمع خبطات علي الباب، فيجد الجارة تمسك صينية عليها طبق "مخروطة" كبير، وبجانبه سلطانية مليئة باللبن إلي منتصفها، وطبق صغير به جبنة قديمة، وصحنان، "الله يبارك فيك يا عمة عطيات، دائما أهل كرم". يقول لها هذه الكلمات وابتسامة راضية تعلو وجهه وهو يأخذ منها الصينية. يترك الباب مواربا ويدخل المنضرة. يسحب الطرابيزة التي تتوسطها ويقربها من الدكة التي يجلس عليها الضيف، "تفضل يا شيخ". "حق الله"[7]. يأكل دون أن يتكلم. أما مجدي فيأكل ببطء ويحاول أن يبعد نظراته عن نظرات الضيف، وعندما يطمئن إلى أن الضيف منهمك في الأكل ولا ينظر إليه، يبدأ في الأكل بتلقائية كأنه مع زوجته وأولاده. يتذكر أن أولاده ذهبوا إلي أخوالهم ليستلفوا فلوسا، فيتقطَّب جبينه، وتُسَدّ نفسه، ويبدأ في تحريك الملعقة بحركة رتيبة بطيئة ما بين الطبق وفمه، فلا يصحُّ أن يتوقف عن الأكل إلا إذا شبع الضيف.

يتوقف الضيف عن الأكل فجأة،وكأن حركة جبين مجدي وهو يقطبه أربكت شهيته. وكما توقف فجأة، ينظر إلي مجدي فجأة. تنطلق أشعة عينيه وتخترقه، ثم يقول له: "لا تخف، الفلوس ستجيء". تنفلت الملعقة من يد مجدي، وتنقلب قمحية وجهه إلي اصفرار شاحب، كما أن قلبه ينبض بشدة وعنف وكأنه لا يستطيع أن يتحمل تلك الكلمات التي نطق بها الشيخ، ولا يخرجه من حالته هذه إلا خبطات علي شباك المنضرة وصوت سيد العبد

7 عبارة تقال عند قبول الدعوة للطعام أو الشراب.

ينادي عليه. ينتهز الفرصة التي جاءت له من السماء وينهض بسرعة، "أهلا يا أبا العبد"، يقولها وهو يحاول أن يُخرج صوته طبيعيا معتادا لا يتلعثم أو يضطرب فيبدل حرفا مكان حرف.

–سمعت أن عندك ضيفا، قلت أجيء لأقوم بالواجب.

– جئت في وقتك...

يقولها دون حساب، تخرج من فمه دون أن يدرك ماذا يقول، فهو لا يثق في سيد. تلمع عينا سيد وكأنه وجد كَنْزًا، ستدور الساقية، سيجد الناس حكايةً يحكونها حتى الصباح... "سيد علي الأقل لا يعرف إلا ما يعلن من ماضيك وحاضرك، وما وصل إلي أذنه بطريقة ما، سرية أو علنية، لكنه لا يعرف ما لا تبوح به لأحد، فمهما دقق النظر فيك، لا يمكن أن يخرج إلا بانطباع مبهم لا يكشف عن أية تفاصيل".

– ما الذي حصل يا أبا أيوب؟

– تعالَ ادخلْ أولا.

يدخل سيد من باب المنضرة الموارب، تسبقه مسبحته وكُمُّ جلبابه الواسع. يلقي السلام علي الشيخ، فيرد همهمة لا تبين منها كلماتٌ، بينما يخرج مجدي من البيت، يشير بيده إلي ولد واقف في الرهبة، "يا محمود"، يأتي الولد مسرعا، "نعم يا عم مجدي"، "خذ عجلة ولد عمك عبد الستار وقل للعيال يجيئون لأن ضيوفا عندنا". ينطلق محمود إلي بيت الحاج عبد الستار، ينادي ثم يدلف من الباب الموارب، يظل مجدي في مكانه، يخرج محمود والعجلة تسير بجواره، يركبها وينطلق، "السلام عليكم يا عم مجدي"، عندما يجد مجدي أن محمودا خرج من "الرَهَبَة" من خلف القرية ليتجه إلي الطريق الرملي بجانب الجبل الذي سيوصله إلي "نزة علي"8، يدخل بيته وفي عينيه بدأ يبزغ قدر من الاطمئنان الواهن.

8 مكان في شمال غرب جهينة.

بشرى الأمير

انتبهنا يوما: أنوار القصر تشتعل، أبواقه تدوي، شيء مهم لابد، علينا أن نتحرك نحوه، فالأبواق لا تدوي بهذه الطريقة إلا إذا كانت تنادينا، لابد أن الأمير وصلته شكوانا – ربما قرأها، ربما لا يعرف القراءة، فقرأها له أحد ندمائه – هرولنا... لاشك أنه استجاب لنا، تسابقنا. يبدو أنه راجع موقفه وبدأ ينظر لنا بطريقة جديدة تليق بنا. كدنا نصطدم ببعضنا البعض. ها نحن في ساحة القصر. الأبواق مازالت تدوي. لا تبين أية علامـــات في وجـــوه الحراس الذين فتحوا لنا باب القصر. لا تقفز من عيوهم بشرى لنا. لا يهمُّ. فربما اعتادوا هذه النظرة اللامبالية. ما هذا؟! ما بالهم يسيرون هنا وهنـــاك وينتشرون في كل مكان! يهزون أجسادهم كحيات تتراقص. انتظرنا. ترشُّ نسمات الهواء المللَ فيتسرَّب إلي قلوبنا المتلهفة. لكـــن قـــرب البـــشرى وانتظارها المتمكن داخلنا يهوّن علينا ويجعلنا نتسلى بـــالنظر إلي زخـــارف القصر. رسومات تحمل علامات نمر، زخارف في عز الـــشباب والتقـــوى، رحلات صيد، صلوات جماعية، مبارزات فردية، سيوف مـــشهرة، جـــوارٍ تتراقص علي صلصلة السيوف...

أعلن الحرَّاسُ مقدمَ الأمير، فتطاولت آذاننا لتلتصق بشفتيه. هتفـــتْ أصواتٌ لا نعرفها بحياته وبشراه السارة التي "حَلَّتْ" كل المشاكل. رددت أصواتٌ الهتافاتِ وسكتت أصواتٌ. وفي تموج الهتافات المنبعثة من داخـــل القصر وساحته، ارتطمت باقي الأصوات بأمواج الهتاف والتهليل. من ظل

صامتا اقتيد إلي حيث لا يدري أحد. ابتسم الأمير. أعلن أنه سيخفِّفُ عنا آلاما. أومأ إلي أحد الحراس، فدخل القصر. خرجت جارية راقصة زئبقية. جسدها يغطي ملابسها التي ربما كانت في أحشائها. تسارعت اهتزازات جسدها. سكب الأمير عطورا ما شممنا مثلها من قبل. تضوعت الروائح "الذكية" من جسدها، فتخللت أنوفنا وأفاقتنا من دهشتنا. احتدت نظراتنا وتصوبت علي الأجزاء التي لا نراها في زوجاتنا. أخذنا نتلوى مع "زفلطتها" وزوغان جسمها. شرع الأمير يراقصها. ذابت أجسامنا. تراقصنا مع رقصاته وانتهاءاتها. هتف من هتف. ابتسم الأمير. اقتيد الباقي. خلع الأمير ملابسه. ذاب جليد أجسامنا. طوى الرقصُ والذوبانُ ساعاتِ الليل وضوءَ الفجر. أخذها الأمير ودخل. لم يزل الذوبان سيد أجسامنا.... في الغروب كان رجال هيئة الأمير يكسّرون أبوابنا ويقتادوننا لتركِنا الأرض ونومنا في بيوتنا طيلة النهار...

ملحوظة : من نزلوا الحقول، لم يقدروا على العمل، فالفئوس كانت تتراقص في أيديهم وتهوي علي أجسامهم.

زفافٌ من رحلَ

عندما اقتربنا في رحلة سفرنا المفاجئ من حدود القرية، انفجر أحد إطارات السيّارة فتوقفنا رغما عنّا لكي نبدّله. وما أن خرجنا من السيارة في ذلك الجو الشتوي حتى سمعنا أصوات زغاريد كانت تعلو فوق بيتنا. "لا حول ولا قوة إلا بالله"، قلتُها على الفور، فلا مجال للزغاريد أصلا في هذا الجو الحزين. نظرتُ إلي أخي بجوار السيارة على ضوء العامود الكهربائي على ضفَّةِ الترعة، وكأنني أستفسر منه أو أحاول أن أبدأ حديثا يطرد من قلبي هاجسا يلحّ عليّ. فقال: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". ثم صمتنا، كما لو كنا نتفق على تفسير الزغاريد التي أخذت تعلو وكأنها تتسلق سلّم الأفق وتتراقص في الهواء: كانت تلضم خيطا من نور يتأرجح ويتطاول ليبلغ قلب السماء. بدا الأمرُ كما لو كان عمّي في ذلك اليوم يُزَفُّ إلى عروسه ولم يَمُتْ كما أبلغونا. تساءلتُ: "أهي أهوالُ العُرْسِ أم أنها ملهاةٌ ساخرةٌ؟ وإن كانت، فممن السخرية؟ منّا نحن الذين ما أن بلغنا الخبر حتى قفزنا في سيارتنا دون أدنى استعداد وانطلقنا على الطريق الصحراوي!!" لكنني سرعان ما تذكرت قولا شعبيًّا يقول إن من مات ولم يتزوج يُزفُّ إلى عروس في السماء. لم أستطعْ أنْ أتحقَّقَ من ذلك القول برغم كل شيء، فلم نَصِلْ إلى بيتنا بعد، ولم نعرف إن كان عمّي كان في مجرَّدِ إغماءةٍ وأفاقَ منها أم أن الزغاريد لسبب آخر. كما أن الوقت كان متأخرا في الليل ولم يكن وقتَ زغاريدَ بأي حالٍ من الأحوال.

بعد أن بدَّلْنَا الإطار، انطلقنا بأقصى سرعة، محاذرين ألا نقع في الترعة بجانب الطريق، وتركنا زجاج السيارة مفتوحا حتى نتمكَّنَ من سماع أي صوت قد يرجّح لدينا احتمالا. تمادى إلى مسامعنا صوت عبد الباسط عبد الصمد في الهواء. كان يقرأ آيات عن النعيم وحسن الثواب في الآخرة. وعندما وصلنا وجدنا عمَّنا في سريره وكلُّ الأيادي تواسينا. رفعنا عنه الغطاء لنلقيَ عليه نظرة وداعٍ أخيرةً، لكننا لم نجدْ سمرةَ وجهه أو الندوبَ التي كانت تملأه، بل وجدنا وجهه منيرا كأنه يبشّرنا بحياته القادمة.

جلسة عرب: "قصة شعبية"

هل أنا فاضٍ لذلك؟ عندما أجيء تقول لي:"خُذْ هذا الولد معك".عندما تخرج لقضاء مصلحة،أليس من الممكن أن يباغتَكَ مشوارٌ وأنت في طريقك؟ في رمضان الماضي، ألم نكن نفطر سويا؟ واتصلوا بك وأنت تشرب الشاي، هل أكملت الشاي يا أبا العم؟ والله العظيم بعدما كنتُ عندكم شرقا، يوم الجمعة، كما أمس، وجلستُ كجلستكم هذه، أختك قالت لي: "عندما تخرج خذ هذا معك. الولد يضرب إخوته وأخواته ليل نهار". لا أتحمل أنا ذلك يا دكتور. والله العظيم من يسكن في هذا الجبل مثل الحلاق السيئ.

أتسألني عن أختك؟يا أبا العم الأخرى بلوى أيضا،أنت تصمِّم على شيء، هي تقلبُ الميزانَ معك مباشرة. أنا كسَّرْتُ رسيفر التليفزيون أول أمس لأن حمادة يجلس أمامه حتى الصباح ولا يصحو مبكرا ليعمل معي في الغيط، وهي كانت تصر أمس على أن تبيع النعجة الخاصة بها والعيال لكي تشتري رسيفرا بدلا منه، "المليحة" تريد أن تتفرَّجَ. قل لي ماذا تفعل لو كنت مكاني وقالت لك ذلك؟ قلتُ لها: "يا بنت العم اذهبي واجلسي بعيدا، لم يتبقَ غير التليفزيون لنشغل به بالنا!" يمين كبير هذا هو الحاصل، أنا لا أتحمَّل.

أتتوقع أن يكون موجودا؟ هرب عندما رآكم قادمين. ربما تجده عند "الاريال القبلي"[9] هناك. والله العظيم يوم "كَتْب كتَاب" بنت الحاج محمود كنت جالسا على الترعة، أقول لك حاجة والكَلاَم لَك وللجميع، أنت تحسب حساب نفسك، كنت أجلس على الترعة، بين المغرب والعشاء، عندما توفَّى الحاج، قبل ذلك قال لي:

9 الاريال طبعا هو اريال التليفزيون. وعندما يطلق على شخص يدل على أن هذا الشخص ينقل الكلام أو يثير الفتن والخلافات أو لا يؤتمن على شيء.

– الهمَّةُ قليلا".

– ما الحكاية؟

– ربما كان أحد يموت.

– الذي يموت الجبانة مفتوحة.

جريتُ، وجدتُ ولدَ منصور يتَّصلُ، لا أدري إن كان يتصل من عندكم أم يتصل من أين، نعم، مؤمن، قالَ: "الحاج مات". ممكن أن تُحضر "فرَاشَات" الدنيا كلها وتنصبها أمام منضرة العائلة، لكن هل ستجد أحدا منَ العائلة أو الأقارب يقف بجانبك؟ أليس ذلك هَدًّا للكرامة؟ الموضوع ليس أكلا أو شربا. ماذا تفعلون يا "أولاد"؟

– حسنا، يا مؤمن اتصل من عندك؟ من أين تتصل؟

– أتصلُ من "بحري"10.

– خذ أي تليفون محمول من الجماعة عندك.

– حاضر يا عم.

– قل له يطلب لك الرقم، وكلمهم، لا يهمك حتى إن "رغيت" ساعة في التليفون. اتّصل وتبيّن الموضوع وخذ العنوان كاملا.

[أحضرَ العنوانَ.]

– ها هي أختكَ جاءت.

– اقعدي يا بنت الناس.

– "طاب" الموضوعُ.

[خَبَّطْتُ على باب القط أخي.]

– هل تسافر يا عم؟

10 تستخدم في جهينة الاتجاهات الأربع لتحديد الأماكن وفي الوصف.

- والله أنا دمي ثائر في وجهي.

لبستُ جلبابي ووضعتُ الفلوس في جيبي وقلت: "سهلة". أخذناها مشيا حتى السوق القديم. اتصلنا بجماعتنا شرقا، قالوا: "سنجيء لكم على السوق القديم". جلسنا على المقهى حتى الحادية عشر ونصف، وذلك الساكن جنوبي قال لي:

- هل ستغرّب؟

- لا.

انتظرتُ من سيجيئونني ولم يأتِ أحدٌ. هل سأذهب بمفردي؟ وإن ذهبتُ لن أجد رجلا يقابلني. هو حقًّا عمي، ومن المفروض أن أكون أول شخص في جنازته، لكنها زوجته. كان مريضا منذ شهور، لم تتصلْ بنا، وها هو طلب منها قبل موته أن يُدفن في مقابر حماه في البساتين. إن كان لم يفكر فينا أصلا قبل موته؟ نعم عمنا. لا أحد ينكر. لكنني كنت أزوره كل فترة. لم نعرف بمرضه هذا إلا عندما كلَّمهم مؤمن وعرف القصة. ممكن أن نكون قصّرنا في حقه. الدنيا مشاغل يا أبا العم. إذا جاء أحد ليوجه إليك ملامة يمكنك أن تلبسه "العمَّة". إن كان أعمامي لم يحضروا، وظللت أنا في السوق القديم حتى آخر الليلَ؟ من منهم ابن عمه، من منهم ابن أخيه. جاء منصور وجلس قليلا، لكنه ماذا يفعل بمفرده؟ يفترض أن نتحرك كعائلة كاملة نحو جنازة عمنا. المهم جلسنا غرب البيت وجاء إلينا كامل، قال للولد الصغير: "هات لي يا مصطفى كوب ماء"، الآن شخص جاء يطلب ماء هل تقول له: "عمي مات"؟ يشرب أولا الماء والشاي، ثم نطرح الموضوع، كما أن الحاج كامل يسير ورأسه على الطريق، لا يلتفت يمينا ولا يسارا، ربما لم يرَ جلستنا. لو نادي على أحد يظل واقفا غرب تلك "النبقة" البعيدة، كأن تقول يحافظ على نفسه. المهم بعد أن شرب الشاي قلت له:

– يا عم كامل الموضوع، عمي مات في أسيوط ونقلته زوجته إلى القاهرة ولا أحد يعلم شيئا، وليس به أي اعتراف في جهينة. صحيح أنه من جهينة لكنه استقر في أسيوط منذ أربعين سنة، لا أحد يعرفه هنا، لا يعرفوننا سوى نحن. هل إن طُفْنَا البلدَ بالميكروفون على السيارة وأذعنا خبر وفاته وقلنا العزاء بالقاهرة – هل سيحضر أحد؟ ستأكل الناس وجهنا بلا مقابل. وستأكله و"تمصمص" عظامه إذا أعلنَّا أن العزاء هنا وهو دُفِن في القاهرة ليلة أمس.

لم نفعل شيئا. جاء يوم الاثنين ووجدت الدكتور عدلي غاضبا، قلت له:

– ما الأمر؟

[لا أريد أن يمسك أحد عيبا عليّ.]

– عمك توفى.

– من عمي؟ هل اعترف بي أصلا؟

طبعا يوجد كلام "ناشف" لا مفر منه يضايقك رغم كل شيء. انسَ ذلك كله. جئت من الشرق يومها وكنت قد جلست للتو، قالت: "عندما تذهب إلى مكان خذ هذا معك"، وأشارت إلى حمادة. سكتُّ. جاء ضيف هنا. قلت له: "اذهب يا حمادة هات زجاجة "حاجة ساقعة" وعلبة سجائر". لم يذهب. إذا قلت له: "اذهب هات "باط جراو" للبهائم". كأنك تكلم ميِّتًا، يسمعك ولا يرد عليك. "اذهب أنت يا مصطفى". ذهب وأحضرهم. قالت أختك "المليحة":

– إن كنت ستذهب إلى مكان خذ هذا معك.

– لماذا؟

– كان سيجعل مصطفى يشعل النار في نفسه.

رُدَّ أنت يا أبا العم حتى تعذرني إن الخنيتُ وأخذتُ الترابَ من تحت قدمي ووضعته فوق رأسي. عملتُ معه "شَبُّورَةً" في المساء. "يا بني ربنا يهديك. بدلا من ألا تقضي مصلحة..." كذلك في الشتاء، كانت تخبز هي وهو. في خلال نصف ساعة خسّروني ألفين ونصفا. أنا لا أملك شيئا. ليس معي غير "شقائي". ترمي عشرة آلاف في الأرض. ربما ترجع إليك. ربما ترجع منها مائتان جنيه. والله يمين كبير يمكن ألا تأخذ منهم شيئا، وتشرب الرمالُ تعبَكَ. وضحكُ الناسِ مكسبٌ. كانت تخبز. كان هناك عدد من أكياس المكرونة والشعرية. أخرجهم حمادة أفندي من "الخوخة" التي نحفظهم فيها كي لا يقربهم خروفٌ أو ماعزٌ. هو يتصرف بطريقة "لَيِّ الذراعِ". أخرج الأكياس ورماها أمام المطبخ هنا. قال: "لن أرفعهم". هي لم تمن عليها "رَصَّةُ العيش" في الفرن. دخل الخرفان. والله العظيم كان فيهم خروف يساوي ألف جنيه ساعتها. واحد مات. الثاني لحقه وحملوه ورموه من تلقاء أنفسهم في الغيط شمال البيت. كنتُ أحسبُ أسعارهم. هذا سأشتري به كذا. وذاك كذا. والثالث وجدته بعد أيام ميّتًا على الأرض. كلَّمْتُها بعدها بأسبوع قالت لي: "الخروف رميناه في الترعة". هل أنا عندي جسم يا عبد الواحد يتحمل ثلاثة خرفان يُلقون في الترعة؟ الأب يُثْقِلُ عليك. الأخ يُعَيِّشُكَ الويلَ. الأم لا تقف حتى على الحياد. الزوجة تُخْرِجُ عيونَكَ. وبعد كل ذلك يجيءُ الولدُ لِيُخْرِجَكَ من دِينِكَ. هل الطينُ ينقصه البللَ؟

– يبدو أن فمَكِ يأكُلُك. هاتِ الكلمتين الآكلتين في فمك

– قل لي ماذا أفعل معه؟ أتصدق وتؤمن بالله؟ حمادة يجلس الليل بطوله مع عمه ممدوح. يشاهدان التليفزيون. عمه ليس لديه أطفال. كل فترة يبيع قيراطا من أرض المباني ويشتري به حشيشا. يظل طوال الليل يلف السجائر.

– هل يعجبني أن أرى ابني في الصباح أحمر العينين دائخا ؟! تكلمه فلا

يجمّع كلاما يرد به عليك؟

– وهل يعجبني أنا أن يضيعَ ابني أو يَتْلَفَ؟

أمس كنا جالسين، وهذه عن قصد تقول له:

– اذهب أصلح الرسيفر يا حمادة، معي خروف خذه وبعه ومن ثمنه أصلح الرسيفر.

– عليّ الطلاق لا أنت ولا خروفك تبيتان في البيت. لم أعد أحتمل. بلا خروف، بلا عجل، بلا أي شيء. لا أنت ولا خروفك تلزمانني.

أنتم مرتاحون يا أبا العم. والله العظيم يا صلاح أنا ساكت لأنه لا داعٍ للكلام. نهض حمادة وارتدى ملابسه والحذاء والجورب. لا أريد أن أكلمه. قال إنه سيذهب إلى السوق القديم للحلاقة. كل ثلاثة أيام يذهب للحلاق. يأتي زملاؤه ويقولون لي إن حمادة يقف في السوق القديم أو أمام مدرسة الزراعة يعاكس البنات. هل أتحمّل أن يأتي لي أحد برأسه لأنه عاكس بنته أو فعل شيئا بشرفها؟ هل أتحمَّل؟ قل لي يا أبا العم. قلت له: "يا ابني هل تعاندني أم تعاند نفسك؟" دمي فائر. الولد عمه مات، وحتى لو كان عمه هذا كلبا، لا يصح أن يشغّل التليفزيون هكذا، سيقول الناس إنهم يفرحون في وفاة عمهم، أو يقولون إنهم عائلة "واطية" لا يعرفون الأصول. تقول له كلاما كثيرا، وكأنه لا يرى عِبْرَةً، لا يسمع كلاما. كلَّمَتْني هذه المليحة مرة أخرى عصرا في موضوع الرسيفر، قلت لها ما أنا فارغ لكلامها الماسخ. قالت:

– لا، يا حمادة خذ الرسيفر وأصلحه، وإن لم يكن صالحا اشترِ واحدا غيره، وإن تكلم جار سأفعل ما لا أدريه.

رد أنت يا باشا عليها، ماذا تقول لأختك لو كنت في الموقف؟ أأرسلها إليكم؟! ليست معي عشرة جنيهات أعطيها للسيارة كي توصلها إليكم. انظر يا عبد الواحد. لا في "الملقة" شرقا ولا في الجبل هنا، أنا كل

شيء من الإبرة فصاعدا. والله العظيم لا صابون ولا حتى الكحل الذي تكحل به عينها، لا مؤاخذة، أنا همجي جدا. الحلّة، المفراك، المَجَرّ، النشّابة[11]، والله العظيم يا أبا عبده، الكبريت أحضره بالدستين. والله العظيم أشياء تُغْلِي دمك غصبا عنك. قل لي لماذا تتزنتر إذا؟

– أنا لا أتزنتر، هل يصح أن يكسّر الرسيفر ويجري وراء الولد في الأرض البور؟ أنا لو الولد نام في منطقة مهجورة غاصبا و"لبسه" عفريت من سيحضر لي ولدا مكانه؟

– هل أضرب ولدي بالفأس وأُحبس فيه وتظل الناس تعيّركم به وبي؟

والله العظيم ودمي يسيل مثل هذا الشاي، منذ ما قام إخوتي وأبي بقتل المرحوم محمد بالفأس والخشب دون أن يخشوا الفضيحة، وهذه ليس عندها أي صنف من الدم، منذ أن توفي المرحوم محمد يوم **30** مايو **1992**، والله العظيم بيتنا كله ليس له كرامة خارج العائلة، كي تكون مستريحا وفي الصورة، هذه نهاية الكلام كي نقفل الموضوع، ذمِّمْها أختك هذه، منذ ذلك اليوم لا أحد يرسل لنا في مأتم، لا أحد يرسل لنا في فرح. ما دُمْتَ ليس لك خيرٌ في أبيك ولا في ولدك، هل لك خيرٌ في أحد آخرَ؟ أنا ليس عمري **80** سنة، كل عمري **50** سنة، والله العظيم يا رجلً لم يتبقَّ لي ضرسٌ أو نابٌ واحدٌ، لأنك كلما تحكي حكاية... الناس تضرب بنا المثل، كلما يحدث شيء يقولون مثل أولاد الزُّعمان. قل ذلك لهذه التي لا تمتلك أي صنف من الدم يا أبا العم.

– أيجلس ليُحَزِننا نحن على عم عوض؟ ماذا فعله لنا عم عوض؟

– أنا لا أُعَدِّدُ، لا أُحَزِّنُ على أحد.

– صلُّوا على النبي.

---

11 من أدوات المطبخ.

– عليه الصلاة والسلام.

– الصحيح صحيح والخطأ خطأ. لو مرَّ رجلٌ بجانب البيت وسمع التليفزيون وكان يعرف أن عمك مات منذ يومين، ماذا سيقول؟

– سيقول ناس ليس عندها أي صنف من الدم.

ذلك الرجل لديه مما سبق ما يجعله يحكي عنَّا تلقائيا، وينتظر شيئا إضافيا ليساعده على الحكي. نظرا لأن الأرض بائرة لأن الغاز ارتفع سعره وموتور المياه لم يُصلح بعد، يقول الناسُ إن أرضنا الأرض الخراب، يمرُّون فيها كأنها طريق، من جميع أنحاء جهينة تجد ناسا يمرُّون، من "رُبْعنَا"12 أو الأرباع الأخرى، تَخَيَّلْ ذلك والتليفزيون صوته يصل إلى عواميد الضغط العالي غربا! قلتُ له" "يا ولد أغلق التليفزيون"، "يا ولد اخفض صوته"، "يا ابني الناس يمرُّون بجانب البيت". كأنه لا يسمع شيئا، يجلس على هذه الدِّكَّة، وتجلس هي على الدكة الأخرى. قل لهم عندما مات المرحوم محمد، لم أكن موجودا ساعتها، تتذكر أشياء كثيرة وتتداخل ببعضها البعض، لما يكون هناك دُمَّل في إصبعك، هل تذكر لما وقعتَ أنتَ من على "العجلة"؟ الناس مقامات، الكل قال إنك هَشَّمْتَ تماما وجاءوا ليطمئنوا عليك. ثلاث خرفان ماتوا مني في الشتاء. لو كان معي مالٌ أو وجدتُ فرصةً لكنت نصبت لهم صوانا وتلقَّيْتُ العزاءَ فيهم. يمين كبير لما موّتوا المرحوم محمد، صاحبنا استيقظ وأخذ الجرّار وذهب ليحرث في غيط الحاج عبد الرحمن وكأن شيئا لم يكن، ربنا يعلم ما قاله عليه الحاج عبد الرحمن في سِرِّه، وصاحبتنا استيقظت في الصباح وجهّزت مخروطة للإفطار.

– أختنا؟

– لا، ليست أختكم، بل زوجة القط.

12 تنقسم جهينة إلى أربعة أرباع: بنو رماد، أبو خبر، أولاد أحمد، حسام الدين.

أنت تعرف أن العيب لا يضعونه على المرأة بداخل البيت. العيب يلصقونه في وجه الرجل. بعد أن أكلوا المخروطة، جاء محمد عبد الـــرحمن، خرج له "المليح"أبي، ولما قال له:

– نادِ لي محمدا.

– تعال شوفه بنفسك.

كان يرتدي سروالا وفانلة حمراء و"صديريا".يا أبا العم من عنده كتكوت ميت يحزن عليه. دخل ووجده غارقا في دمه والخشب بجانبه ملطخا بالدماء.

– يبدو أنكِ لن ترتاحي قبل أن تقولي ما في فمك. قولي كي ترتاحي.

– أريد أن أقول... هل تربية الولد عليّ أم عليه؟ عن إذنكم أقول قولة. ماذا أفعل؟ أيكون أبوه عليه وأنا عليه؟ أمامه سنة وإن لم ينفع في المدرسة أو في الغيط يذهب ليعيش في بلد آخر، يعمل عملا آخر.

– وهل ستكونين سعيدة لو زوجك جاءت له جلطة؟

– فأل الله ولا فألك. لن يسعدني طبعا أن يطبّ ساكتا من الحزن. ربنـــا يبارك لنا فيه ولا يسكت له حسا.

– آمين يا رب. ويبعد عنكم العين.

شوفوا يا أخوال العيال، تعرفون أن لنا غيطا شرقا من الطريق إلى الطريق، والله العظيم بيعَ عمدا، كنا نزرع أكثر من عشرة فدادين، ويجيء أبي في نهاية الموسم ليقول إنه يدين لعوض عنيزة الذي لا يملك سوى نصف فدان بثلاثة آلاف جنية. أتكون في شقاء طوال السنة ولا تمتلك ثمن فانلة، لا تجد لقمة في البيت لتأكلها؟!!! كل ما يفعله المرء لنفسه. لا أستطيع أن أذهب إلى فلان وأقول له أعطني ألف جنيه. سيعطيك مرة وفي المرة التاليـــة لا. يمر شهر وراء شهر ولا أستطيع أن أسدد له. سيقول اعتبرها

لله، اعتبرها ضاعت، لكن إن وجدك مفروما تحت عجلات القطار لن ينظر إليك. أليس ذلك صحيحا؟ دعنا نضرب مثالا. نحن هنا في الجبل. زرع الجبل يا أولاد يُكَسِّبُ مرة ويُخَسِّرُ عشر مرات. وإن انقلب عليك السوق وفرَّ للوراء، انسَ نفسك. والله العظيم، منذ أربع سنوات، كل ما جمعته من فدان بصل **200** جنيه، كنت أخلع البصل وأرميه للبهائم، وظل منه **4** أطنان، أخذهم التاجر بـ **650** جنيها، أعطاني **200** ومازال الباقي عنده إلى يومنا هذا. نقلة السباخ التي تراها في مقطورة الحراث ثمنها **140** جنيها.

– هاتي ما عندك:

– أنا لا أساند حمادة ضد أبيه، لكن إذا ضغطنا كلنا عليه سيترك البيت، وساعتها سنحزن عليه كلنا.

– وهل تملكين أنت شيئا أصلا؟

– نعم أملك. معي خروفان ومعزتان. لن يحدث شيءٌ إن بعنا واحدةً واشترينا الرسيفر.

– هل توقفت الدنيا على الرسيفر؟

– على الأقل سيلمُّ العيالَ حوله.

والله العظيم هناك عيال أمام مستودع البوتاجاز، يعمل معك الواحد منهم باليومية ويظل معك في الغيط إلى الساعة العاشرة مساء. الواحد منهم يخرج من بيته "على لحم بطنه"، لا تجد فرنا تُدَخِّنُ عندهم[13]، ويظل معك يعمل طوال النهار وجزءا من الليل من أجل "يوميته"، يعمل معك كما القطار، تقول له:

– ألم تفطر؟

13 أي لا يخبزون خبزا لأنهم لا يمتلكون المال الذي يشترون به الدقيق.

– (يسكت).

– هل أُحضرُ لك إفطارا؟

– نعم يا عم جمال.

والله كان حمادة يمسك الخرطوم ويضرب به إخوته وأخواته، كاد يجعل مصطفى يشعل النار في نفسه. أمس عصرا كانت تنادي عليّ.

– ماذا تريدين الآن؟ والله العظيم أحلف عليكِ يمينا إلى يوم الدين لا أريدك. ما أنا بفارغٍ لك. أتريدين أن تحضري رسيفرا وأجيء أنا لأجلس وأتفرج بجانبك ونترك كل شيء؟! أبالعناد؟ يمكنني أن ألقي عليك اليمين ومع السلامة أنت وهو.

– والله بعض الناس الفقر لها نعمة.

– صلوا على النبي.

– عليه الصلاة والسلام.

أنا من النوع الذي أستيقظ مبكرا، أقضي مصالحي وأرجع. قد يصادف أن يأتيك مشوار لا تستطيع أن تتأخر عليه. إن سمعت مثلا برَجُلٍ له عليك واجب، أو أنه ليس له عليك واجب وابن عمه له عليك واجب، أتستطيع أن تتأخر ولا تذهب إليه؟ قال لك جماعة تعال معنا للعزاء في الجهة "الفلانية"، هل تستطيع التأخر عنهم؟ كنتُ ذات مرة في السوق وقالوا هناك جنازة. والله العظيم تركتُ الحمارَ في السوق وذهبت إلى "الحلفاية" في آخر جهينة. قابلني مرة "النُّصُّ" قال لي فلان مات، كان يلف بالميكروفون على السيارة، قلت له:

– وصلت بالميكروفون إلى أين؟

– إلى ترعة البير.

– لماذا يا أبا العم؟ عندنا حوالي 15 بيتا شرقا، لو ذهبت من هذا الطريق أو الطريق البحري سيعلمون.

لن يقولوا إن الجماعة لم يبلغهم الخبر، سيقولون لا يعرفون الواجب. طبعا لازم تضع في بالك أي كلام يمكن أن يقال وتحتاط له.

– هاتِ ما عندك:

– يجلس عند المزيرة، على الترعة، في السوق القديم، على الأقل التليفزيون يجعله يظل في البيت بدلا من أن يحوس في الخارج ولا ندري عنه شيئا.

– ليست مشكلة أن يجلس أمام التليفزيون، لكن هل ذلك مبرر لأن يضرب إخوته وأخواته على الدوام؟

من منكم يتحمَّل أن يقولوا له على الدوام "أبعد ابنك عن هذا، أبعده عن ذاك، ابنك...؟" أنا مخي بلا مؤاخذة يَنْبُشُ بداخله عفريتٌ. والله العظيم لولا حرارة الجو ولولا أن وراءكم مشوارا، لأخذتكم إلى هناك. لدي فدانٌ ونصفٌ، اشتريتُ لهم بـ 5000 جنيه سباخا ومازالت الأرض غير مستوية. لا أستطيعُ أن أُحضر لودرا وبعد أن يسوِّي لي الأرضَ أقول له: "تتبقى لك الفلوس". والله العظيم لودر أنهى الشغلَ عندي الساعة التاسعة، يوم سبت كما اليوم. لا تنظر إلى اللودرات من الخارج. الذي بالبيوت يعلم به ربنا. يتحدث الناس عن بيت عبد الجبار، هذا مجرد اسم من الخارج، 4 لوادر، 8 عربات قلّابات، 3 عربات ملاكي. لكن والله العظيم لو عرضوهم للبيع الآن لن يسددوا ما عليهم من ديون. لو جاء واحدٌ منهم واشتغل عندك "شغلانة" بألفين أو ثلاثة، وأعطيته ألفا ونصفا، هل ستطوّحه بالباقي؟ طبعا لا. افترض جاءك عند البيت. في أول مرة سيرسل لك طفلا يقول لك: "عمي يسلّم عليك". لا توجد بينك وبينه جيرة ولا مصاهرة ولا

شركة ولا معاملة. لا يوجد بينكما سوى هذا الموضوع. من يميّــز يفهـــم. سألت ولدا من العاملين على لودر منهم:

- ما بال سيارة "الجماعة" لا تظهر هذه الأيام؟

- والله يا عم السيارة في الورشة، يشدون "عفشتها"، عمي يبحث عـــن ألف جنيه ليخرجها من الورشة.

لا تحتاج عشرين ألفا، تحتاج فقط ألفا واحدا، هل أظل أنا صامتا كمن لا يميِّزُ ولا أُرسل له باقي حسابه؟ لماذا أعطانا ربنا العقل أصلا؟ والله العظيم لما فرغتُ من الشغل الساعة التاسعة ليلا، كان قد اشتغل في غيطي 30 ساعة بثلاثة آلاف جنيه، كان قد أخذ منها ألفا ونصفا، وبقي له ألف ونصف، والله دون أن أغسل وجهي، إن لم يكن موجودا سأنتظره عند بيته، وجدته جالسا ينبش في التراب بعود حطب أمام بيته، ترى عربات ولوادر ودكك وزحمة و"أرجل الدكك"[14] بالأكوام. أتدري عندما ذهبت؟

- الابن الذي يذهب يأتي بدلا منه.

- هل تريد أن يكون مثل عمه محمد؟ أطبقوا عليه جميعا وقتلوه، لا أحب أن يكون مصيره كذلك.

- أتريدين أن تعملي من محمد مثلا أعلى؟

- أقول له أمامه سنة في الدبلوم وسنة ونصف بالجيش، وإن نفع في شغل الغيط نفع، وإن لم ينفع يبحث له عن شغل في أي مكان، كي لا يكون له ذنب في رقابنا بعد ذلك. عليهم أن يحتملوه السنتين والنصف.

- وهل تَحَمُّلُه يعني تركَه يضربُ العيالَ.

---

14 رجْل الدكة أي الرجل الذي ليست له كلمه أو اعتبار بين الناس وتجده يجلس مع أكابر ليتودد إليهم أو يجد له منفعة من وراء جلوسه معهم. والمصطلح مأخوذ من أن الدكة لها أربع أرجل، وبالتالي فأن الرجل الواحدة ليست لها فائدة في حد ذاتها، وإنما تكمل الأرجل الأخرى.

تخيَّل أن تكون جالسا مع رجل، رجل عادي، وجاءك أحد من العيال يقول لك حُوُشْ حمادة عند الموتور غرقا. هل تستطيع أن تفكر بعيدا عن العيال ما دامت عندك حالة ذعر؟ وأنا لو كنت أزور رجلا مريضا أو أدفن أحدا أو أرى رجلا أكله القطار:

– خذه معك.

– ماذا أفعل بحمادة معي؟ لست بفارغ لكِ أنا. مخي به ألف عفريت ينبشون.

– صلوا على النبي.

– عليه الصلاة والسلام.

انظر يا عبده،والله الواحد أحيانا يدوخ بحثا عن **200** جنيه. والله العظيم يودّ لو يشقّ الأرضَ ليجدها، ولا يستطيع شيئا. المليح الذي يستطيع أن يقضي مصلحتك لا يملك شيئا. وقليل الأصل لا يعطيك شيئا. يجيء قارئ عدّاد النور وعندما أبصر الفواتير في يده، أنط على الجهة الأخرى وأفرُّ.

– كل يوم حمادة يريد أن يذهب إلى جهينة.

– هو الذي يعطيه الفلوس. عندما يعطيه فلوسا ليشتري شيئا، لا يُرجع له "الفكّة".

أضع الفلوس في هذا الصندوق وعندما أمشي يدخل هو المنضرة ويأخذ منها. كما أنني لا أستطيع أن أزنّق عليه تماما. مثلا أول أمس أعطيته عشرة جنيهات ليشتري علبة سجائر، كان يريد أن يَغْمُرَ السبعة والنصف. ليس معتادا منه أن يطيعك ويذهب لشراء علبة السجائر. لم أتكلم في المساء. وفي الصباح كنت ذاهبا لجهينة وقلت له: "هات السبعة والنصف". كأني لم أكلمه. ثم قال:

- لا.

- السبعة جنيهات والنصف يأتون حالا!

والله العظيم ليست مشكلة السبعة والنصف. المهم جاء بهم قالبا وجهه. يلم الحديد والكراكيب والجراكن من البيت، والله العظيم يأخذ الجركن الذي أشتريه بجنيهين ليبيعه بنصف جنيه. أهذا حكي يا أبا العم؟ القيراط الذي باعه أخي منذ سنتين بخمسة آلاف يباع الآن بخمسين.

- أنت لم تَبِعْ.

- وهل أنا عبيط حتى أبيع أرضي وأصرفها على مزاجي؟

- كُلُّكَ عقل يا أبا حمادة.

- هذه الأرض ليست لي. لهم ولأولادهم من بعدي.

عندما يكبر الولد وكلما يرى بنتا في السوق القديم يُجَحِّرُ بعينيه، شباب تالف.

- ألم ترَ ذلك الذي قطعوا رقبته وألقوه في الجبانة؟

- أخذ بنتا من بنات مدرسة الزراعة في الربع نقل وطلع بها على الجبل؟

- ليستر الله على ولايانا.

- الدنيا مليئة يا عم.

والله العظيم مجموعة عيال. مثلا ولد أحمد الكبير أمه مُقرِّطة عليه. عندما ملَّ تقريطها أخذ خروفَ علفٍ من البيت وباعه.

- هؤلاء العيال بلا مؤاخذة يشتغلون شَمًّا وسرقةً في جهينة.

- يا عم تربية حرام وهذا طبيعي.

كما أنك اليوم لا تضمن، لو وجدتَ لصا يشرقُزجاجة فارغة أمام

بيتك ستمسكه وتقتله، ويبدأ جَرُّ المشاكلِ. تعملُ مع العيل المـــستحيلَ يـــا صلاح، ماذا تفعل معه أيضا؟

- قومي اعملي كوبين15 شاي.

- عندنا ضيوف شرقا.

- فلينتظر ضيوفُكم قليلا. نشرب الشاي أولا ثم نشرّق سويا.

- كانت يضرب بها المثل في "الجدعنة" والعقل والصبر.

- كان هذا في الماضي. والله تجيء ساعة "تنرفزني" فيها "نرفـــزة" غريبـــة الشكل.

- منذ أن جاء عبد الواحد الصغير طبعا.

- وهل ينقصها العيال؟

هناك رجل يجد من يسنده ورجل لا يجد. يعني عندما قال الدكتور عدلي: "حكايتكم حكاية كلابيَّةٌ جدا لأنكم لم تنصبوا "فراشًا" لعمِّكم"، هذا الكلام ضايقني كثيرا. الحاج كَامل حسبها جيدا وقال لَه: "يا دكتور أنت لا تعيش معنا في جهينة. كان المرحوم لا يحب أن يزوره أحد، زوجته ليـــست من البلد، والواحد منا لا يحب أن يذهب إلى مكان لا يرحب به فيه أحد، كان يكتفي بالاتصال كل شهر. ألم يكن من المفروض عليه أن يحسبها جيدا؟ إن كان فيه عقل لفعل".

هل معقول الآن أن يكون جميع أخواتك مثل بعـــضهن الـــبعض؟ وإخوتك مثل بعضهم البعض؟ اشربوا الشاي. يا عم هذا لا ينفع معه ناعم أو خشن. كما أنك تعمل طوال اليوم في الغيط، وعندما تجيء مساء تريد أن تأكل لقمة وتريح بالك، أليس من حقك أن تستريح أم أنك لست من بني آدم؟ الرجل يشقى طوال النهار والولد لا يستر عليك. كان عبـــده إلى أن

15 تستخدم صيغة المثنى في جهينة للدلالة على الجمع.

تزوج ينام في بيتكم، أكنت تقول له لا تنم؟ الرجل الذي يـــشقى طـــوال النهار ويأتي البيت بالليل، هل يُنْتَظر منه أن يحرس هذا ويحرس ذلك؟ مـــن المفترض أن يحل حمادة محلي في كل شيء.

– وأنا أقول له من المفروض أن يوقظه ويأخذه معه. طبعـــا لا يُعقَـــل أن يأخذه معه إلى كل مكان. أنا أتكلم عن غرب، يأخذه معه إلى الغيط غربا.

أتسأل عن صناديق الذخيرة هذه؟ والله يا أبا العم نضع فيها الملابـــس. إذا كنت تريدها خذها وضع فيها ملابسك واترك دواليبكم فارغة مـــن دون ملابس! هيا نجلس في الهواء بالخارج إلى أن يُنزل مصطفى الخشب الـــذي تريدونه للشيشة من على السطح. هاتي يا بنت الحصيرة الحمـــراء هـــذه ليجلس عليها أخوالك. اسكت يا عم. على العموم الله يبارك فيكم. والله هذا السور كلفني السَّقَطَ واللَّقَطَ. ربنا يكون في عون الجميع. طبعا سترني من الغرب. أتعرف هذا الباب؟ والله العظيم كلَّفني **1200** جنيه. لكـــن الحمد لله لمتُّ غنماتي وسترتُ نفسي، وها أنا لست مكشوفا. وحتى لـــو نمت في الأرض هنا سأكون مستريح البال. وها أنا زرعت هذه الأشـــجار داخل السور. وعندما تكبر سنفرش الحصيرة تحتها ونجلس في عز الظهر. كما أن العيال سيجدون فاكهة يأكلونها.

– أنا لم أحكِ يا أخي. لكن عندما يضربه سيبات خارج البيت. والواحـــدُ منا لا يهونَ عليه. سأشغّل التليفزيون. لم يتبقَ سوى شهر ونصف علـــى بداية الدراسة وسيُغْلَقُ التليفزيونُ أصلا.

– وشغل الغيط؟

– أتفق معك على أن حمادة يجب أن ينـــام مبكـــرا. إن لم يجلـــس أمـــام التليفزيون سيجلس بالخارج.

– اتركها يا أخي.

– عقلها في رأسها، وإن لم تحافظ على بيتها، من سيحافظ عليه لها؟

ثمرة على حافة الحلم

تتراءى له ثمرة بارقة في عينيه. تتهجّى على شفتيه حروفا لم يفكّر فيها. تتشكّل كما الطيف بألوان تتجمّع في رقعة واحدة. يمتدُّ نسيجٌ بطول الغيطان الليلية وعرضها ويرفرف في مقلتيه هائما. تطهي الألوان شوقه على مهل وكأن روحَه هي الشوق وهذي الغيطان جسد له. رآها تينية اللــون تستوي تحت ملمسه وتقطّر لبنها على جروح يديه فتبرأ. أبــصرها حمــراء تتهادى في عينيه وتنشر بذور المحبة على قلبه الطيني فتمــرح أغــصانه في الأفق. تشكلت أمام عينيه برقوقية اللون تمازح دما أرجوانيا ينطلق في براح جسده فيقف لها احتراما وولها. ارتآها قرمزية تقف على حدود شــفتيه في خجل ولهفة وكأنها تناديه بكل الأسماء وكل الألوان فيؤكد لها أنهــا جــذر يمنحه حرية الانطلاق في البراح عند حدودها دون أن يفلت زمامه أو يتوه وسط الملامح. ارتسمت أمامه قمحية اللون تطعم عصافير قلبه فيغرد على نافذة عشها طوال الليل. كانت كل الألوان تتشكل في أرض عينيه لتُخرج هذه الثمرة حقيقية يكاد يلمسها ويهمس في فمها الموارب بكل اللغات.

لا يستطيع أن يحدد لها لونا. ولكنها بالتأكيد تخاطبه، تناديه، تقول له أنا هنا، أين أنت منذ سنين ولّت؟ أم تراك لم تكن هنا منذ ثلاثين سنة؟ أم أنك انشغلت بوجه غير وجهي، بعيون ليست عيوني، بأمنيات لم نتقاسمهــا سويا؟ يدرك غرابة الأسئلة في هذا الوقت بالذات الذي يحس فيه بأنها أقرب

إليه من دمه. ولأنه لا يستطيع أن يدرك للأسئلة سببا، يزيحها من على عينيه مؤقتا وينغمس في الألوان التي تقف لغتُها على أعتاب أذنيه.

تغرسهما تينيَّتُها تحت شجرة تين لا تبخل بأن تلقي عليهما ثمارا لا تحتاج إلا أن تستحم في صحن ماء تحت الصنبور. فيغتسلان سويا بماء مطر يهب في صيف حارق. ينسلان من بين الجميع ليجلسا سويا على جانب مجرى الماء الجاف، فتهرول أعينهما فوق النباتات لتستحث نسيمات الهواء الكسولة على الهبوب فتحمل لغتهما وما توقد بينهما إلى ذلك القمر الهامس علّه يبثُّها في كل القلوب فتعمر الأرضُ بالنباتات والحياة.

ترسم قرمزيتها له أرض حَلَمَةٍ على وشك الولادة والامتداد. يتحسس بطنها ويهمس في أذن ذلك الذي يتكور داخلها لاهيا بأنهما في انتظاره على أَحَرّ من رمال هجمت عليها الشمس وسط صحراء خارج حدود المدينة. يرفس في بطنها كأنه يتثاءب ويمد يديه ورجليه ليحفر في رحمها، فتصرخ في دلال وتنظر إليه: "أترى ما يفعل ابنك؟". يبتسم ابتسامة مستبشرة ويربت على بطنها في خفة، فيحتضنان في سكون للإنصات إلى دبة الجنين.

تشكل حمرتها له شفاها تجلس على ناصية الارتشاف والإمطار. يقول لها "أهلا بك في بيتك، ألا ترين الجدران التي أنارت بمقدمك والهواء الذي تجدد؟" فتحيد بوجهها في دلال. يقترب منها ويلف يده حول خصرها فترتعش. يظنها فوجئت به، فيرحب بها من جديد ويتقاسمان كوب عصير. يباغتها في الرشفة الأخيرة ويقطف وردة من على خدها، فتنهض خجلة وتدخل الغرفة، مغلقة الباب ورائها. يدق الباب دقات خفيفة سرعان ما

تتصاعد عندما تمعن في عدم فتحه. وعندما تدرك سرعة الـدقات ولهفتـها تخشى أن تصل الدقات إلى الجيران فيخرجون ليضعوا آذانهم وراء أبـواب شققهم. تفتح له الباب مواربا. تطلب منه أن يغمض عينه، ولكنه يباغتـها قبل أن تعطيه إشارة بفتحهما، فيجدها قد بدلت ملابسها وفردت البطانية على جسمها فوق السرير.

تتبختر برقوقيتها ثمرة مباحة على أعتاب الحلـم والحيـاة. يمـر أسبوعان كأنهما سنة من الانتظار. أسبوع توترٍ وخوفٍ من أن يندثر ذلـك الرمز المكنون. وبالرغم من أنها تدرك أنه لا يحق له أن يظل مكنونـا بعـد الآن، إلا أنها لا تستطيع أن تواجه خوفها. وتحمد الله أن أسبوعا آخر هـلّ رغما عنها وعنه قد يطرد خوفها خارج باب الشقة ليلقيه في وجه عـروس أخرى أو تدهسه عربة عندما يشرد في الشوارع بعد طرده.

تعده قمحيتها ببذور أخرى تضاجع أرضا كانت لهمـا فتغمرهـا بالخضرة والينعان والتواصل. تمتد أنامله فتلمس أرضا بكرا لا تعرف شيئا. ويتبين أنه هو الآخر لا يعرف شيئا، فلقد ضاعت كل تلك الأفـلام الـتي شاهدها هباء كأن شخصا آخر كان يشاهدها غيره أو لعله أدرك أن الواقع أمر مختلف. يهم بها ويجدها تتماسك وتستعيذ بالله من شـيطان يحـاول أن يغويها بالحفاظ على شيء ما عاد لها. يتوضآن سويا ويـصليان ركعـتين، استسقاء أو شكرا أو تسبيحا. ويلتقيان.

تنفرد الثمرة على الغصن، ربما ليس غصنا واحدا، بـل مجموعـة أغصان التقت في هذه الأرض وتبادلت العصارات واللغة والتاريخ، أو لعله

كان غصن تلك الشجرات التي تزدهي أمام ناظريه وتتسامر في ليلة صيف حلما بنوم في أحضان بعضها البعض. يراها تتربع على ناصية الغصن وكأنها الوحيدة في هذا الكون تجمع كل الألوان في يمينها وتتمازج كل الوجوه في بشرتها. يبصرها ممتلئة نوعا وتظنها عيناه مفلطحة ولكنه عندما يقترب منها يجد بطنها متكورة كأنها حبلى بحياة قادمة، بوعود على حافة التحقق، بأمنيات تجلس على جدار الحلم وتدلي بُشْرَاها للعيان متباهية بخصوبتها. تتراءى له ذات زهرة أو ريش، تحط على شغاف قلبه، وكأنه زهرة يرتادها النحل ليخرج عسلا لذة للشاربين والذائقين. يحس بلسعة، بيد أنه يدرك فيها الشفاء. يقارب المناعة. يجرّب اللذة. تختلط الصورة أمام عينيه.

يبدو له أنه يتبين تشققا في جلدها أو تآكلا في جلد شفتيها. تضع يدها على بطنها وتهرع إلى الحمام. تُفرغ في الحوض ما لم تأكله أصلا وتخرج معتذرة. يبتسم ويأسف على ألمها في آن. تطلب منه خوخا وعنبا. يستغرب لطلبها في وقت الفجر. يرتدي معطفه ويخرج عله يجد بائعا في هذا الوقت. تتخطف أقدامه الشوارع والأبواب المغلقة. لابد أن الميدان لا ينام. يستبشر عندما يرى الكلوب مضيئا. يبتسم البائع عندما يعرف طلبه العزيز. لا يعبأ بالسعر فهو يدرك تماما أن الموسم غير الموسم ويعود فرحا بالكيسين. يجدها تأكل طماطم وجبنة قديمة في شراهة لم يعهدها حيث أنها لا تأكل إلا أقل القليل. تتلقف الكيسين بلهفة طفل فرح بلعبة كان يلح على أبيه في شرائها.

قد تكون الثمرة أكبر من الغصن وربما لا يوجد تحتها غصن أصلا وكانت تضرب بجذر في الأرض القديمة. يحسب ما يراه نهارا ويراها هي

شمسا تستظل من حرارة نفسها بحديقة مقفرة. لكن حركة الأغصان تلفت النظر إلى نفسها، والأرض حوله عمار، وعمار قلبه لا يقل عن عمارهــا. يشك أن الجو ليل وأنها قمر يضيء الغيطان أو يسبي ست عيون، عينان لــه وعينان لراكب الحمار وعينان للحمار نفسه. ولكن شفتيها ينمان عن حرارة هذا الجو، عن تراب هذي الأرض، وتبيَّن وجهها أليفا ومألوفا وحميما، كأنه يجمع كل الوجوه التي يختزنها عقله الصغير. هل توجد أوراق على الغصن؟ سؤال لا يستطيع الإجابة عليه. فقط يذكر أن الغصن يجمــع بــين البنيّــة والبياض، بين الاصفرار والسواد، بين الحمرة والقرمزية، كأنه كــان كــل الألوان وهي تزدهي بتآلفهما ولقائهما وحياتهما المشتركة. يحاول أن يلمس الغصن. لكن يده لا تستطيع أن تحدد شيئا وسط زخم الملامس.

يتذكّر أن قدمه دبت على هذه الأرض مرتين. مرة عندما كان الغيط له في صباه. وهذه المرة لم يكن الغيط له. يذكر قانونا بفك الــرهن وإرجــاع الأرض المرهونة إلى صاحبها. وبالرغم من علاقته الحميمة بصاحبها إلا أنــه يتذمر، يضج بالأسئلة، تطارده "لماذا الآن" طوال الطريق، في كل شبر مــن الأرض، في كل نبتة خضراء تمرح أمام عينيه، وكأنه يطرح عليها الــسؤال نفسه أو يحتضنها في أسى وشفقة. تنظر إليه كل نبتة في خضوع لعلها تلمّح إلى عدم فهمه أو تقديرها العميق للشفقة التي ليست في موضعها. وبالرغم من انفكاك الرهن، إلا أنه يذكر أيضا أنه كان موجودا هنا كــل صــباح. يمسك مذياع الجيب بيد وباليد الأخرى ينقّي الحشائش، يطــارد أشــباحا تحاول أن تجثم على حياتهما، أن تنقضَّ على كل ما يدَّخرانه مــن حميميــة

وصفاء ومباهج. يغرس الفسائل، يبذر البذور، يرش السماد، يرعى جـــذرا يغذيانه كل يوم بما يجمعهما ويوفّق بين ملامحهما وسط الوجوه التي تتلاشى مع الزمن. يرى نفسه يأكل ساعة الظهيرة تحت الشجرة، يشعل النـــار في المجرى الجاف ويضع الكنكة وسطها ليستوي الشاي على عجل. وهي تجلس بجانبه بعد أن أرهقها العمل منذ الصباح. تتكئ بظهرها الصغير على جذع الشجرة وتحكي له عن همس النبات ولغة الطمي وملمس الخضرة. تروي له عن النبتات الصغيرة التي تراها عصافير تغرد في الصباح والديـــدان الـــتي تبصرها عفاريت في عز النهار فتهرسها في الأرض ولا تخاف منها. وشجرة الرمّان التي تومئ لها من بعيد وكأنها تلاعبها وتناديها بالاســـم دون كـــل البنات. فيحكي لها عن رحلة الورود في بلاد الظلام التي لابد أن تمر بها حتى تتفتح في الصباح محملة بالندى والعطور وعن القطار الذي يسافر بعيدا ولا يظهر منه إلا صوته الذي يمر بجانب النهر ولا يبلغهما إلا خافتا لأنهما مازالا صغيرين ولن يسافر بهما القطار الآن. سيظل النهر يرسل مياهه وأسماكه إلى الترعة ليلعبا مع الأسماك الصغيرة التي تمرح في الغيطان ساعة ريّها. يبدآن في ارتشاف الشاي ويتحدثان عن القراميط الصغيرة التي اصطاداها من الغيط وحفرا لها حفرة عميقة ووضعاها فيها بعد أن ملآها بالماء وفتافيت الخبـــز وأوراق الشجر. يوشك أن يربّت على كتفها الـــصغير ليطمئنـــها علـــى القراميط التي ستكبر وتطعم البيت كله، لكن يده تفزع من ملامسة الفراغ.

يحاول أن يتحسس أوراق الغصن. لا يجد شيئا. فقط تَذْكُر يده ملمس الأرض، حركة كل نبتة عند ملامستها، ذبذبات صوت العرب والـــشرق

الأوسط والشباب والرياضة. تذكر أذنه "صباحك معطّر" و"كتاب عــربي علّم العالم" و"أنت تسأل والكمبيوتر يجيب" و"أبلة فضيلة" وهالة الحديدي وموسيقى الشعوب وصوت فيروز وعبد الحليم وأنغام الصغيرة. تذكر عينه القطن والفول السوداني وفول الصويا ومحمود شخون وميزانـــه والأوراق النقدية التي كان يعدها بعد الوزن. هل رأى كل ذلك في هذه الثمرة؟ ربما كانت هناك لقطات أخرى وراء هذه اللقطات. يظن أنه رأى نفسه والعيال بعد المغرب يتسللون عبر الغيط إلى الحديقة لتتحسس أياديهم البرتقال والتين والرمان في حذر وتمتلئ حجورهم على عجل. بعد أن يبتعدوا بالقدر الذي لا يسمح لآبائهم باصطيادهم يضحكون فرحين بإنجازهم ويـــشعلون نـــارا برغم الحرارة ليقسّموا ما قطفوه على ضوئها. يتشاجرون قليلا على الحلال والحرام. يستشهد كل منهم بصوت أبيه الذي يمنعه مـــن الاقتـــراب مـــن الحديقة إلا حين تنضج تماما ويأخذ التاجر منها ما اتفقوا على بيعه له ويترك الباقي لهم ليأكلوا منه ويوزعوا على الجيران. ولكنهم سرعان ما يعودون إلى القسمة. وربما يرى نفسه ويراها يلعبان "عدلة" ومن يغلب الآخر ويوقعـــه أرضا يأخذ ما يحلو له من الثمار ويسلّم الآخر بما تبقّى له. يحتضنها بكل ما استطاع أن يجمّعه من عافية ويهوي بها على الأرض كأنه يحاول أن يـــزرع شجرة عنيدة تظللهما في حر الصيف. عندما يدركان أن كلاهمـــا انتـــصر يتضاحكان ويعطيها قدرا من نصيبه، فتختار ما يحلو لها.

يجد أيدي الأطفال تمرح في الثمار. يبصر وجه بنتيه. لكنه كـــان صغيرا وكانت صغيرة. هل قفزت البنتان من عينيه إلى هنا في المنام أم تراهما

ليستا بنتيه؟ تحتضن ابنته الصغرى ساقيه في دلال فيترل إليها ويتأكد من ملامحها. ينهض. يلتفت إلى زوجته التي لم تكن زوجته ويقول لها إنه يحلم فكيف تظهر البنتان في حلم سابق عليهما؟ تجلجل ضحكتها وسط الغيطان فيشد على يديها مستحثا إياها على إخفات ضحكتها إلى حين الدخول إلى غرفتهما بالرغم من أنه يدرك أنهما لم تكن لديهما غرفة ولم تكن هي موجودة أصلا ولم تكن البنتان قد ظهرتا في الأفق بتاتا. تخفت الضحكة تماما إلى أن تتلاشى وتحل محلها تلك الثمرة التي تراوغ الإمساك.

تمتد يده نحو الثمرة. ثم تتراجع متردِّدةً. أهي حلال أم حرام؟ يسقط شيء من يده لا يدري ما هو، لكنه يحس بخفة، بهمة، بنشاط، بشوق. يشعر كأنه على أعتاب شيء ما، كأنه الدور الثاني من البيت وقد ارتفعت أعمدته. يهز رأسه، فهو يعرف أن حديد التسليح طار عاليا في الهواء وأن أحمد عز لم يبقِ له فرصة لإكمال البيت، فها هو يرى الحديد يحلق بعيدا، يباعد بين منقاريه ويخرج له شيئا أشبه باللسان يبصق على رأسه، وربما يحط فوق رأسه ويأكل منها. لكنه يرى الأعمدة ويرى نفسه واقفا مع رجال المقاول يشدّون الألواح والأعمدة الخشبية تجهيزا لصبّ السقف. كأنه ينظر إلى الأرض من فوق الدور الثاني أو هي التي تنظر إليه. تتمايل النباتات، يراها تهتز طربا، تترنح ألما من مبيدات سامة قتلتها، تنكسر أمام الريح، تقف صامدة، يبصرها في كل حالاتها أو هي التي تراه في كل حالاته. كأن نارا هبّت في الخصّ فحرقت كل الصوامع والحيوانات والطيور، أو لعلها لم تكن نارا، بل كانت أمطارا تنهمر على الخص وتتساقط منه لتغرق البيت. يدرك

أنه لم يصبّ الدور الأول، فيعض يده، عله يصحو. لكنه يظل كما هو وسط أعمدة الدور الثاني. يرى أباه واقفا وسطهم، يمزح مع هذا، يميل على أذن ذاك ليهمس له بسر أو همّ. يفرك عينيه. ينظر إلى أسفل تلك الشجر ليتبين ما إذا كان أبوه مازال راقدا تحتها لا يقوى على الحـــراك أو النـــهوض. لا يراه. أبوه مازال وسطهم وتلك الثمرة تحط فوق رأسه كأها شجرة تين عفية قمب من يجلس تحتها أو ينادمها العافية.

تمتد يده نحوها من جديد. يهمّ بها فيراها قمم إلى يده.تحاول صورةٌ الارتسامَ أو هو الذي يسعى لأن يرتسم بجانبها على شريط لا ينتهي. تنظر إليه بطرف عينيها خجلا أو دلالا، يحاولان أن يتهجيا حروف لغة بينـــهما، تتـــشابك الحروف أو تتنافر، لكنها تدور في فلكهما. عندما يوشك أن يضع يده على خدها تفر هاربة بين الأوراق. تبدل فستاها. ترتدي كل ألوان الثمرة. ينظر إلى جلبابه يجد ألوانه تبدلت وكأها هي والفستان صنعا من قماش واحد كانا يحلمان به يسترهما ويجمعهما في نفس الأوان. الألوان في كل شيء حولهما. حتى الأغصان اكتست بأوراق تبدو أمام عينيه كأها الخضرة ذاها. يـــدب بقدمه على الأرض فتنبعث الأصوات الموسيقية من فمها، كأها نوتة موسيقية في انتظار من يقرأها على العود أو الناي. يعاود الطـــائرُ الظهـــورَ، كـــأن رأسيهما صغرا كثيرا وها هو يحط برجل على رأسه ورجل على رأسها. يفقأ عين له وعين لها. تنتقل الثمرة معهما. ضفة ترعة كبيرة صافية المياه. كأهما غطسا سويا، فها هما يُخرجان رأسيهما من الماء ويتقاسمان ضحكة. يعاودان الغطس ويغسلان جسديهما بالماء كأهما يتوضآن. يدرك أها قالت لـــه "لا"

وفي نفس الوقت يدرك أنها معه الآن يستحمان في الترعة وكل الوجوه تسير بجانب الترعة دون أن تعلّق بشيء، كأنهما جزء من هذا الماء الذي يسير ليروي الزرع وينشر العافية في الأغصان. كأنهما ارتديا ألوانهما أو أحسا بنقصها، فها هما يتسلقان نفس النخلة صاعدين إلى البلح الذي يناديهما أعلاها. لكنهما يجدان نفسيهما فوق صبة الدور الثاني الذي فُك خشبها للتو وهما يرشان الماء فوق الخرسانة لكي يقوى تماسكها. يقطعان نتفة من تلك الثمرة ويدفنانها في الطين داخل ماجور ويرشان الطين بالماء. تنبت شجرة جافة كأنها تسخر منهما. ينساب الدم من أيديهما عندما يبحثان عند جذرها عن منبت للخضرة. ترى نقاط دم تتساقط على سرير، ويرى نقاطا أخرى تنهمر من رحمٍ يصرٌّ على البوار فيلفظ حياة تشكلت بالفعل. يحاولان أن يحضنا بعضهما فلا يجدان جسدين، فقط بعض الألوان التي تنسكب على بعضها البعض ولا يوجد أي أثر لألوان تلك الثمرة. الترعة التي كانا يسبحان فيها لم تعد موجودة، وملابسهما جافة تماما تحمل رائحتي مكانين مختلفين، أوانين متباينين، عالم هنا وعالم هناك. تعاوده رائحة المدافن كأنه يزور أباه ليقرأ عليه الفاتحة ويترحم على روحه التي يتمنى لها الجنة. تفزعه الرائحة بالرغم من أنه كان يشم فيها الخلود. يجد نفسه وحيدا على السطح. يتحسس جسده. يلمسه دما ولحما كما هو. تتراءى له بعض البراعم في الشجرة، فيخاف أن يلمسها كي لا تتلاشى في الهواء أو تتحول إلى مجرد أثير وبقعة من الألوان غير قابلة للتجسد.

يجد نفسه في نفس الموضع وتلك الثمرة تراوده بالقرب من جانب الطريق. يقف قبالتها. يطلق لها عينيه علّها تخجل أو تخفِّف من قلقه أو تقترب منـــه. يجدها ترنو إليه بنفس قوته وتركيزه وشوقه وكأنها تقــول لـــه "انظـــر إلى تشققاتي، ألا ترى صفرة وجهي؟ أنا لست هنا يا حبيبي". يرنو إليها وهـــو يحاول أن يجد شيئا يسعفها به ولكنها تبعد طرف وجهها عنه كأنها تعاتبه أو تلومه على شيء ما أو تداري دمعة ستتساقط من عينيه رغما عنـــه عمـــا قريب. أمعن النظر. يبصر عينيه أمامه كأنهما خرجتا منه ووقفتا على البعد تراقبان الأمر. وعندما يدقق النظر في عينيه يجد صورة باهتة لها كأنها اُلتقطت منذ زمن بالأبيض والأسود أو لعل ألوانها بهتت وتلاعبـــت بهـــا ســـنوات ستبعدهما عن بعضهما بعضا. يدرك أنها نائمة بجواره وأنه كان يحتضنها قبل نومه، ولكنه مستيقظ الآن، وحده وسط الغيط الممتد في جميع الاتجاهـــات. يظهر على صفحة عينيه رقم هاتف قديم كانت قد أعطته إياه. يتذكر الآن غباءه، عدم قدرته على تأويل الكلام. لماذا أعطته رقم هاتفها بعد أن قالت لا؟ ظل غاضبا لسنوات. وها هو الآن يغضب لغضبه، لجهله، لحمقه. يهـــم بالثمرة فتراوغه. لا يفكر في شيء سوى أن يمسح التراب من على جلدها أو قشرتها، لكنها تصر على المراوغة ولا تلمس يداه سوى جفاف الغصن. يكادعقله يطير.أمازال غبيا كما هو؟أم أنها لغة جديدة أو حروف لا يفقهها؟

يغمض عينيه. تنداح الصور كأنها تلقائية. يتحسس المقعد الرخامي تحته. محطة قطار بالفعل. لكنه لا يدري من المسافر. أهـــو أم هـــي؟ يحـــدقان في بعضهما بعضا لعلها يريدان أن يضما مشهدا للأبد أو يلتقطا مشاهد فـــيلم تسجيلي ما. يلمس يدها كأنها اللمسة الأولى. يجدها ترتعش أو لعل أناملها

تحمر خجلا أو اندهاشا لملمس يتراءى على صفحة يدها لأول مرة. عندما يدوي القطار، يحملان حقيبة وحيدة ويصعدان سويا. يسيران نحو كرسيين وكأنهما كتبا باسميهما أو يألفانهما. يتأمل صورته في عينيها وتتأمل صورتها في عينيه. يحس الجالس بجانبه بالحرج فيلفت انتباهه بعصبية إلى أن تحديقه فيه هكذا لا يصح. يهز رأسه. لا يجدها. يعتذر للجالس بجواره في خجل لا يعرف كيف يتخلص منه. ينهض مستأذنا. لا يجدها. أين تكون قد ذهبت والقطار لم يرسو على أية محطة بعد؟ سؤال طرحه على نفسه وأخذ يبحث بين المقاعد والعربات سعيا وراء إجابة له. وصل إلى نفس الشجرة والثمرة التي تناديه. وبالرغم من أن ألوانها تبتسم له إلا أنه مازال يسمع دوي القطار. فيُغطس رأسه في مجرى الماء بجانب الطريق ليغرق ذلك الدوي للأبد. هل كان رقم هاتف أم أنه كان يكلمها في الهاتف بعد خطوبتهما وطلب منها أن يذهب إليها؟ كان لا يعرف ما يقول. فقط بعض ما قرأه في الكتب أو رآه في الأفلام. كأنها فوجئت بما طلبه. على الأقل الهاتف لا يلتقي فيه أحد. "لا"، كررتها بعصبية وهددت أن تنهي المكالمة على الفور إن لم يفق. أصر على طلبه، لعله كان يختبرها، فسمع صوت السماعة وهي تصطدم بالهاتف في تأفف. ابتسم وسرعان ما تحولت ابتسامته إلى ضجر لأنه لم ينوِ الغدر. لكنها كانت تثق بالأفلام وبالغدر فبترت المكالمة. عاوده رقم الهاتف ورصيف المحطة وغرفتين تبعدهما مئات الكيلومترات. تلاشى دوي القطار تماما وكأنه وصل محطته. فها هو يجد أخاه منتظرا إياه بالسيارة خارج المحطة. يتصل عليها ليطمئنها على وصوله بالسلامة ويعدها بالمرور عليها بعد أن يرى أمه ويطمئن على أبيه.

يجد أباه تحت نفس شجرة التين. يجثو على ركبتيه ليحتضنه ويقبّل يديه. يغرز شفتيه فيهما علّه يصل إلى العروق تحت التجاعيد المتيبسة ليطمئن على حرارة الدم. يتكئ على ذراعه بجانبه ويتشرّب ملامحه. يبتسم عندما

يزيح أبوه عينيه في الاتجاه الآخر فينهض مرتبكا. تقبّله أمه في كل المواضع وتشتمه لقسوة قلبه التي تبعده بالشهور. يعتذر لها بكلمات ليست في قوة لهفتها ويحتضنها بقوة فتبتسم وتضربه بطرف يدها ممازحة. تتلاشى صورة أمه وأبيه وصوتها في الهاتف وتتشكل تلك الثمرة مكانهم كأنها شغلت أماكنهم جميعا. يحس بقلبه يضطرب، يجري في الغيط بحثا عن سبب، عن معنى، عن تفسير للمعاودة التي لا تلبث أن تستولي على كل الصور والوجوه أمام عينيه. يكتشف أنه يصل إلى تلك الشجرة ويقف عندها متهدجا. يلهث بكلام لا يفهمه كأنه بلغة يعجز عن فهمها أو كأن غريبا يخاطبه أو يأمره أو يبلغه بشيء ما. يهم أن يستفسر من الغريب لكنه يتلاشى دون أن يسمع منه إجابة شافية.

ينقضُّ على تلك الثمرة التي يحسها تتباعد تدريجيا. يريد أن يقبض على ملمسها ليختزنه في يديه قبل أن تتلاشى للأبد. تفزعه البرودة والتيبس. "ربما تحول الحلم إلى كابوس"، يقولها لنفسه وهو يمسحها ببطن كفه ثم يقضم قضمة. يحملق فيه ذلك الذي يسير على الطريق بجانب الغيط راكبا حماره. يتلفت في كل الاتجاهات عله يتبين وجها. يقضم قضمة أخرى ويعيد إليه حملقته. يضحك راكب الحمار ساخرا وصوته ينطلق في عنان السماء وسط الليل الممتد. تستفزه الضحكات الساخرة فيلتهم باقي الثمرة علَّ جسمه يتشرَّبها وتطفو ألوانها إلى ملامحه. يبتعد الرجل والحمار دون أن تنقطع ضحكاته المستفزة. يستيقظ على صدى هذه الضحكات فيجد أنها مازالت نائمة بجواره وقد ازداد وجهها بياضا. يستغفر الله على اختلاط ملامحها بملامح أخرى في منامه. ويفتح ذراعية لاحتضانها. ينتفض قلبه من البرود الذي يدثرها. يشك في قدرة يديه على اللمس والإحساس. يضع أذنيه على قلبها، فيمتد الشك إلى كل حواسه ويقف مذهولا لا يصدق ما أوصلته له هذه الحواس أو يعرف ماذا يفعل.

الرائحة

عبر النافذة الضيقة المطلة على بحر عتيق، تتطلع إلى خيوط عصافير تتماوج في الهواء. تتخيلها ترفرف وتحط على سطح بيتها لتنـــزل داخله وتمرح وتسكن وتنجب وتملأ البيت حركة ونشاطاً وعصفرة. ينهضها مرأى العصافير من مرقدها الموغل في الزمن، ربما للحظات وربما للأبد، وتتطلع لأول مرة إلى مياه البحر التي ابتلعت زوجها يومًا. تفكِّر في أن تعقد مع هذه المياه مصالحة، فربما أوصلتها إلى العصافير. لكنها ما أن تدبُّ بخطوها على الرمال حتى تكشِّر الأمواجُ عن قطراها وتفجِّر هذه القطرات منذرة في وجهها. فيطفو الخوف الأبدي على قلبها بعد أن كان خاملا. تتراجع وتتخلى عن عزمها. لكن العصافير تعلو وتتماوج، وتشدو الأصواتُ المحملة بعبق السفر والانطلاق لحنًا شجيًّا يعيد لها الحنين ويذكِّرُها بأنها نسيتْ نفسَها طويلا. وعندما تتقدم نحو البحر، تقذف موجةٌ بحذاء قديم. فتنظر إلى قدميها في رعب وهرول راجعة إلى نافذتها. لكنها تستدرك عندما تدق في قلبها نبضةُ فرح همس لها بأن الحذاء ربما كان حذاء زوجها، فتتراجع للبحر. تقلِّب فردةَ الحذاء الباهتة وتعيد النظر فيها عشرات المرات. وعندما لا يجدي نظرُها تعرُّفًا، تشمُّها على مهل وكأنها تحاول أن تستعيد روحا أكل الملح ملامحها. تأسف عندما لا تجد فيها رائحةَ زوجها، بل تجد تراكماتِ سنين تضيف رائحة على رائحة فلا تبقي لأي منها تميُّزًا. تضع فردة الحذاء على الشاطئ بحنو ، فربما انهزمت رائحته فيها أمام ما كتم أنفاسَها من

روائحَ. ثم تحمل خيبتَها في كفيها وتعود إلى نافذتها كأن الأمل لم يراودها منذ لحظات. ومن هذه النافذة ترى نفسَ الشبح للمرة التي لا تدرى رقمها يغدو ويجيء على الشاطئ. يرتدى الحذاء. يتماوج وربما يتعصفر وهو يضغط على الحذاء في زهو وانتشاء. تبصر في هذا المنظر كآبة ربما ازدادت قليلا هذه المرة. تشم رائحةَ السمك متعفنة وأنينا واهنا قادمًا من أماكن شتى. يتحرَّكُ إجهادُها المستمر وحزنُها العميق داخلها ويبدِّدان محاولتها لأن تنام. لكن روعةُ العصافير تخلد بها إلى الأحلام. تغمض عينيها فترى الغرفة كلها أحذيةٌ تتطاير ويضرب بعضها البعض. تفسد عليها هجعتها المتوجسة رائحةٌ عفنة تتخلل أنفها بإلحاح. في الصباح تلملم بعض حيويتها المبعثرة، ولأنها لا تستطيع أن تحمل أي شيء، فإنها تترك كل شيء وتودع المكان للأبد وهى تضع يدها على قلبها.

هامش أول : تمشى بعيداً عن الشاطئ مخافة المياه والعفن.

هامش ثانٍ : تتوغل في الصحراء خشية أن يرتديها الشبح.

موطئ

سماء محمَّلة بغيم الترحال. محمولةٌ هي تحت أقدامهم. تناجى ذلك النجم العالي. تودُّ لو تدنو منه حتى تبلِّلَ شفتيها وترتوي من خلاصته. يتلوّى فأرٌ فَزِعًا من هطولِ مطر، فيصعد صخرةً ويعتصم بها. تتمايل شجرةٌ بخفَّةٍ مع رياح مداعبة. يعبث غضبٌ بخيمة معتَّقة بوتدٍ فالقٍ قلبها. وعندما تسقط قطرةٌ مطرٍ، تبتهل أفواهٌ، وتضجر نخالةٌ لا تحتمل المطرَ، ويقتسم المكانَ الضوءُ والظلمةُ، الرغبةُ والرهبةُ...

ها هي تلوّح بيدها، ترجو الغيوم أن تتماسك وتلملمَ أجزاءها المتساقطةَ كي تصعدَ هي إليها وتحملَها إلى مكان بعيد. عندما تلهث من العَدْوِ وراء غمامةٍ متأخِّرةٍ عن السِّرْبِ ويكويها صمتٌ ثقيلٌ، تتوقف مصدومةً في ذعرٍ وارتيابٍ. تطاول تغييبها وامتد، وذاب انتظارها تحت هدير شمس ثقيلة. عندما تنتبه لأفكارها، تمسح أرجاء المكان بعينين مجهدتين من التقصِّي واجترار ذكريات مستقبل يستعصي على المجيء. تجلس واهنةً، لكنها تعود قلقةً وتتحرك في جميع الاتجاهات. وعندما تفشل في الكشف يترسَّبُ انكسارٌ مؤقَّتٌ في عينيها...

تُخْرِجُ بعض الوريقات من جيبها. تحاول أن تضيف ملامحَ أخرى لما ابتدأته. لكن تثاقلَ قلبها وحيرةَ عقلها يتغلَّبان على نشوة الكتابة، إذ تعاند حالتُها حروف قلمها الذي أوشك على الفناء. تدور. تستكشف. تفشل. تجلس. وعندما يعاند مركزُ الدائرة الاقترابَ تقف مرتعشة وتهرول في كل

الأرجاء بحثاً وتنقيبًا. تسقط ورقةُ شجر خضراءُ أمامها، فينـــتفض قلبُهـــا ويصرخ. تجري عكسياً مُحَاوِلَةً أن تتمسك بأقصى أركان البعـــد. تجرُّهـــا قدماها إلى حفرة مستطيلة. تسقط. تزمجر الريحُ. تتساقط الرمـــالُ فوقهـــا وتُمْلِي عليها رائحةَ العطن والسكون. تفور أشياء داخلها، فتصرخ. لكـــن الحفرة تهزمها.

ها هي تلحُّ في الخروج والحفرةُ تصرُّ على العناد والمكـــابرة. مـــاكرة محاولاتها والحفرة داهية ثعلبية المخارج. تتمنى أن تصير تلك الحفـــرةُ بحـــرًا وتلك الرمالُ المتساقطة حوتاً يحملها إلى الشجرة على الـــشاطئ الأليـــف. تتذكر "فلادمير واستراجون"16 جالسين تحت الشجرة في انتظارها، فتطرح الأمنيةَ من قلبها وتحاول أن تتصوَّر جدليةً أخرى للخلق والإبداع. ينشيها حلولُ الظلام المفاجئُ، فالخلقُ يبدأ بعد الظلام. تتنفس بإدراكٍ علَّ نَفَـــسَهَا يُخْرِجُ شيئًا جديدًا أو يشترك مع نَفَسٍ آخرَ في شراكة دافئة وقلبٍ يـــدقُّ فيتولَّد كائنٌ يَبْعَثُهَا لذاتها ويخلّصُ آخرين. لكن الرمال التي علت حتى رأسها تطفئ نَفَسَها. مازالت عيناها قادرتين على الإبصار. يصعق رعـــدٌ ويزمجـــر برقٌ، فتظنُّ أن الأرواح الشريرة تتجرَّعُ سكراتِ الموت وتحترقُ في عنـــان السماء. تغطي الرمال رأسها تمامًا. تهطل أمطارٌ وتعوي أعاصيرُ. تفرُّ رمـــالٌ أمام السيل وتتراكم في الحفرة. تعلو المياهُ لتغطي الرمالَ. يتسيَّدُ الـــصمتُ المكانَ في شراسة مخلصة. مازال الفأر معتصما بالصخرة في ذهول. تجمَّعتْ

16 بطلا مسرحية في انتظار جودو لصمويل بيكت

بجانبه بعض الطيور في رعب وهستيرية. حاول أحد الطيور أن يفترس الفأر، فتراجع في ذعر وسقط في الماء...

من أخبار المروى عنهم

قالوا:نبت نباتٌ مستديم الخضرة على الحفرة.لم يَمُتْ الفأر، لكنه اختبأ في أحد تجاويف الصخرة ثم خرج بعد أن انجرف الماء إلى متاهة الرمال، وعاش على ذلك النبات وبعض أنواع النبات الأخرى التي بزغت في حُفَرٍ أخرى. سار الوتد مع المياه وثَبُتَ عند تلك الحفرة أفقيا. بزغ شيء هرمي الشكل به فتحات غريبة بجانب الحفرة، وبعدما فحصوه وجدوا أنه جزء من هرم ضخم غير مرئي يَضُمُّ في أحد أنحائه الحفرةَ. هبطتْ سفينةٌ فضاء بالمكان، فاختفت الحفرة والهرم وكل النبات. تتعامد أشعَّةُ الشمس على تلك الحفرة في كل أوقات النهار وفي الليل يضاء المكانُ بوهج غريب مترقرق. مازال قلبها بالحفرة ينبض ـــ لم يذكروا إن كان اختفى بفعل هبوط السفينة أم لا. كل من يجلس بالقرب من الحفرة لا يحس بمرور الزمن أو حركته.

من أخبار الراوية

عندما عرفت الراوية كل تلك النتف من الأخبار المتناقلة في وسائل الإعلام المختلفة عن الذين روت عنهم، لهم أو عليهم – منها ما تناقله الناسُ عن وسائل الإعلام، ومنها ما تناقلته وسائلُ الإعلام عن الناس – تمادتْ في الضحك وراحتْ في هستيرية نشوى .

أسطورته

(1)

المقهى يلعن تلك الوجوه العابسة الجالسة تثرثر باقتضاب، والهواءَ الساخن الذي يلسع جدرانه:

- الله يرحم أيامك يا زعيم .
- قتل كل الحراس.
- شجاع
- ضرب من على الكرسي بالقلم ، وكسّر الكرسي.

رجل جالس على كرسي ليس ببعيد. يزفر دخان الشيشة في الهواء، وهو يحدق في نقطة لا مرئية.عندما يصل كلامهم إلى مسامعه، يتمتم بأشياء، يضرب كفا بكف في الهواء أمام عينيه، ولكنه يتدارك، فَيُنْزِل كفه ليغطى بها فتحة بنطاله على فخده.

رويدا تختفي الوجوه العابسة. تحلُّ محلَّها علاماتُ ارتياح. تتبادل الأيدي مبسم الشيشة. يزفرون الدخان فيصطحب معه جزءًا من الهموم. يكاد اليوم يرحل، ولا يبدو أنهم يودُّون الرحيل من على المقهى العتيق. يقلِّب أحدهم أوراقَ الصحيفة ويقرأ عليهم، فيزفرون الدخان ويلعنون الصحف وكل الكلام الأسود المكتوب، وعندما يَقْلِبُ الصفحة يعلي صوته في القراءة ويتهلل وجهه، يكبرون كلهم، فالقصة المكتوبة تعزف على أوتار قلوبهم المجروحة والآلام المدفونة داخل دمائهم:

- إسقاط على قصة الزعيم.

- الرمز موظف جيداً.

- المؤلف ذكى جداً.

- صوّر كل شيء في سطور قليلة.

الرجل الجالس بعيدًا يتمتم بأشياء، ويخفى بسمة حزينة تحاول أن ترتسم على شفتيه الضامرتين. ينظر إلى نفسه، ثم ينظر إليهم، ويضحك بهستيرية بالغة: "الزمن مش زمن واللي عاز عمره ما ضمن". يتمادى في الضحك فيه، وقبل أن يقع، يسرع أحدهم ويسنده:

- ما به هذا الرجل؟

- كان الله في عونه.

- يبدو مجذوبا.

- من يدري؟ ربما جعله الزمن هكذا.

- أين أنت يا زعيم؟ لو كنت موجودا ما كان حدث ما يحدث.

بعد أن يفرغوا من تعليقاتهم، يعودون إلى الشيشة وثرثرتهم المعتادة. ينظر إليهم بتأفف ثم يترك مقعده ويدور هو وضحكاته فى وسط الشارع. يدور ويضحك، يضحك ويدور، إلى أن تدور كل الأشياء حوله، ويفقد القدرة على تمييز أي شيء، فيسقط باكيا بحرارة يمكن أن تذيب قلوبا التي تنظر إليه بعيون قديمة. يبكي وهو يمزّق قميصه القديم: "هل يُعقل أن أمثّل لهم كل هذا؟!!". تقف نسمةُ الهواء الباردة عاجزةً عن أن تُبْرِدَ جسمَه الملتهبَ...

عندما يملُّ المارة ــ المتوقفون ــ من ذلك المنظر، يتركونه يتقلَّب في الأرض وينطلقون على الطرق. يكفُّ الجالسون على المقهى عن ثرثرهم وينام فيهم الصمت الجامح، إلا دموعهم التي تزعج السكون وتندفع لتصعق الهواء الساكن.

يتقلب ويبكي، يضحك ويلتف، يذرف الدمع ويطيل السكوت، يلعق التراب ويبصق في وجه الهواء الساكن والمباني الصدئة، ينفجر الدم منه فيتوقف جسده ويسكن.

يقوم الرجل الذي يمسك بالصحيفة، يقطع خيوط الصمت الثقيل، ويغطي الجسد ــ النافر منه الدم ــ بالصحيفة والقصَّة المكتوبة فيها، ويعود إلى صمته.

(2)

قال لازمته المشهورة: "الزمن مش زمن واللي عاز عمره ما ضمن" وانصرف. تاه وسط الزحام ونظرة يختلط فيها الاكتئاب والحزن والإحباط والقلق تكتنف عينيه. عندما كانت تلطمه الأكتاف، كان ينظر بـ .....ولا يتكلم. رأوه يعبر الشارع إلى الطرف الأخر دون أن يلقي السلام عليهم أو حتى ينظر بحزن. ظلوا جالسين في أماكنهم يتداولون قصصا وأحزانا. زمجرت رائحةٌ حميمةٌ فملأت المكان بآلام مبعثرة. قال قائل منهم: "نبني قصراً من هواء طبيعي". تمنَّى أخر: "آه لو بنينا جامعة تجمع علماء أزمنتنا الأولى وعباقرة أيام أخيرة ــ حتى لو كانوا قد هُجِّروا". تحسر ثالث: "لو نستطيع أن نستخلص عبق التراكمات الطويلة". حلم شاب صغير جالس في ركن غير بعيد: "لو نصنع أسلحة جديدة أقوى"، تدارك: "أقوى من ماذا؟" لفَّهُم جميعاً الصمتُ عندما مرت نظاراتٌ سوداءُ تختال في زيِّها الرسمي وتتأفَّفُ من كل شخص يحاول أن يرسم علامة معبرَّةً عنه على وجهه....

وقف أحدهم ووضع يده في جيب بنطاله ليُخرِجَ المحفظةَ ويحاسبُ على طلباته، فانطلق الرصاصُ من أماكن شتى. انهمرت دماءٌ حزينــة مزمجــرة. اختفت أرواحٌ تحت الكراسي أو تبخرت مع ذرات الهواء المترهلة. ســالت الدماءُ في مجرى فائرٍ وتدفّقَتْ حتى عبرت الناحية الأخرى من الرصيف. لم يعقْها أي شيء، فقد اختفى كل الناس والحافلات.

عيونٌ محملقةٌ خلسةً من شبابيكَ مغلقة شاهدته وهو يعود ونظرة الـ... في عينيه قد ازدادت اكتئابا وألَمًا فائرا يعصفً بكل ذرة من جسده وأجساد الآخرين. خلع رداءه وغسله في نهر الدماء. أخرج مطواةً صغيرة من جيبه وشقَّ جُرحاً واسعاً في ساعده، فطفق الدمُ يصبُّ في المجرى. ثم قطع جزءاً من قميصه المعمّد في الدماء وربط به الجرح. عبر إلى الناحية الأخرى حيث يوجد منبع الجدول الأحمر وجلس على أحد الكراسي وصرخ صرخة أفاقت كل المختبئين، فنهضوا وعيون الانكسار في نظراتهم تتصبَّبُ خزيًا وانــدثارًا تحت هالات خوف ما. عندما أخذ يــتكلم، ازدادوا خزيًــا. انخرطــوا في استماعهم منه أو إليه، فطُوِي الخزي تحت تدفقات الحماس أو النــشوة. في وسط كلامه تركهم وخرج من حيث .... لبثوا ساهمين، ثم خرجوا جميعاً في خطوات ثابتة، متوازية، جريئة، وساروا جمعياً في نفس الاتجاه.

(3)

دخل الحارة الضيقة، هــزّ جدرانا هشة وصرخ صرخة أرجفت قلوبًا مفزوعة من قبل. كانت الأسرة الكبيرة الضئيلة تعوي من العــام الجديــد القديم قدم الزمن الموبوء.

– أريد حقيبة للمدرسة يا ماما.

– وأريد المصاريف يا بابا .

– المدرس يضربني لأنه يريد أن يعطيني درسا خصوصيا.

– المدرسة بعيدة يا ماما.

– ألست مدرسا يا أخي؟ تعالَ لمدرستنا كي لا يضربنا مدرس.

كان الأب صامتًا والأم أكثر صمتًا. ولما لم يسمع الأولاد أية كلمات تنبئ بعام حتى متوسط الجدة، انصرفوا إلى غرفتهم المكتظة ببعض الأسرة المتهالكة وأخذوا يعبثون بأشياء قديمة.

دخل عليهم الغرفة وهز الجدران فانتبهوا له واجمين.. احتضنهم جميعًا فبكوا على صدره المحمَّل برائحة التاريخ وانتصاراته المهزوزة. بدأ يلعب معهم ويربت على أكتافهم الفتية. بعد أن ذهبت عنهم الملامح المتجهمة والحزن المتدفق، أعطاهم كل ما يملك من قروش قليلة وهمس ف أذنهم: "الزمن مش زمن واللي عاز عمره ما ضمن" . وقبل أن تخمد دهشتهم، كان قد تلاشى عبر فتحات الجدران الهشة. جرى الأولاد إلى والديهم وأخيهم الأكبر، وجدوهم يرقدون كأنهم السكون بعينه، فصرخ أملهم الوليد فيهم ـــ لكن السبات كان أقوى من نبضات الأمل، فرجعوا إلى غرفتهم ينظرون من الفتحات في انتظاره.

قارعة طرق

لم يتكلم. فقط نظر بذهول. مسح المكان بعينيه. ذرف الدم على ذلك السرير وذلك الجسد الذي ينساب في شهوانية بالغة مع شخص ما. أحس بقلبه يتفتت والدماء تُسكب وتختلط بمياه البالوعة. أغمض عينيه وخرج... سار في طريق من الطرق المتشعبة، كل قَدَمٍ تريد أن تسير في طريق، ويريدُ قلبُه أن يسلك طريقًا أخرى، بينما عقله متمرد ولا يريد أن يأخذ أيًا من هذه الطرق ــ أطلال، آثار، خواء، مسلك منحدر إلى مالا نهاية ــ يود أن يسلك درباً مغايراً لتلك المسالك التي تتحرك في "شهوانية بالغة". وصل إلى "شجرة السرو"17 و"الرجل العجوز" جالس يبتسم و"البنت" مقيدة بسلاسل تحت قدميه بجانب "النهر" – تُقَدِّمُ له الكأسَ وهو يتحسس "ذقنه البيضاء" بيد وباليد الأخرى يعبث بثدييها وعيناه تلحسان "كنوزها". شيء غير مرئي جرّه نحو ذلك العجوز. عندما بدأت الأشياء تدور حوله، حاول أن يفلت من بين يدي ذلك الشيخ، فضيّق العجوز على رقبته الخناق، وقبل أن تزهق روحه، ألقاه في النهر النائم تحت قدميه. وبالرغم من أنه لا يعرف العوم جيداً، قاوم السقوط.

وجد نفسه في صحراء جرداء. ارتمى من الإعياء وغاب تحت دوي الريح والأعاصير. أفاق على صوت – لا يدري مصدره – يناديه، همس بخفّةٍ غريبة. لكنه عندما حاول أن يجيب، ماتت الحروف في حنجرته واختفى الصوت. لم ينادِ مرة أخرى. أحس بحيوية جديدة على حالته هذه، فاستغلها

17 شجرة السرو والرجل العجوز والبنت والنهر – كل ذلك من أجواء رواية البومة العمياء لصادق هاديت.

في السير. أفزعه امحاء كل مظاهر الحياة حوله، تذكّر النهر. نَهَرَ الفكـــرة بسرعة. ظن أنه أُلقى به من فوهة "برهان" في هذا المكان، وربما قذف به من قاع "اكتشاف رهيب". رأى أشباح جلابيب بيضاء قصيرة وأسَّرة تتحـــرك وأزياء رسمية تتطاوس باستفزاز، فأغمض عينيه وهرول بعيدًا. وبالرغم مـــن أنه لا توجد طريق، فإنه حاول أن يسير في خط مستقيم كي لا يـــضيع أو حتى يذوب "من" تبقى منه وسط الرمال. هلل وجرى ـــ بسرعة دقـــات قلبٍ مُقْشَعِرٍّ ـــ إلى الأمام عندما لمح من بعيد طيفي شخصين على قارعـــة طريقٍ. وعندما وصل إليهما وجدهما مهللين وأيديهما مفتوحة له. نظـــر إلى جانبهما، فوجد قطةً مشنوقةً معلقةً على الشجرة الجرداء التي يحاول برعم صغير أن يبرز منها:

– أوصلت أخيرًا سيدنا؟!

– من؟

– طال اشتياقنا.

– لماذا؟

– لأننا ننتظرك، كما أن خادمك أتى وقال إنك قادم الليلة.

– أنا من؟!!!

– مخلِّصنا ومنقذنا.

ردد داخله " الصمت كبرياء والحزن ضعف" جلس بجانبهما فقـــط مـــن الإعياء. فرحين، أحدهما يمسح له العرق، والآخر يجلب له بعض نـــسيمات الهواء بقبعته وربما "بعمامته". لمح من بعيد أطراف مدينة قاصية في الاقتراب، فتركهما وسار نحوها. وعندما اقترب، لم يرَ شـــيئًا. تلاشـــت الأطـــراف

والجسد. فمضى إلى حيث لا يعرف أو حتى يخمن. زمجرت الأعاصير وثقُلَ الظلام، فانبطح أرضًا. تحسس في الظلمة الثقيلة. وجد صخرة عالية فنام بجانبها.

داعبت الشمس عينيه فانفتحتا. لاحظ هدوءًا غريبًا يضم المكان، وهواء نقيا نسبيا يسري إلى رئتيه، فتنهد وأحس برضا دخلي لا يعرف مصدره. جذبت أسماعَه أصواتٌ غريبةٌ تنبع من داخل الصخرة وتصب في قلبه. وبالرغم من أنه لم يسمع تلك الأصوات من قبل، فإنه أنس لها وأحس بأنه يعرفها منذ سنين. حاول أن ينشئ لحنا منها. وهو مستغرق في تنغيم الأصوات، انفطرت الصخرة عن عيون حمراء رأسية تنظر إليه بحنو، لكنه فزع منها وجرى إلى قارعة طريق. رأى نيرانًا تشتعل وتغازل الهواء الحنون، فهرول إليها يطلب الغيث والمعونة والدفء. وعندما وصل، امتعضت عيون وضحكةٌ رجَّت الأرجاء. تحسَّسته أيدٍ، ثم ذهبت بامتعاض إلى الرجل الجالس على كرسي يعلو على مستوى النار بكثير وربما يهبط عنها:

– ليس معه شيء.

– (يضحك بسخرية ويسُبُّ) أنشعلُ كل هذه النيران، ويأتي إلينا بعد ذلك رجلٌ أعزلُ من أي ثروات؟! خذ ملابسه (نطقها بخيبة أمل واحتقان ثم نزل يستدفئ).

خُلِعَت ملابسه فجرى إلى أي مكان يدارى فيه سوءَته. بحث عن أي نبات يقطف بعض أوراقه ليستر بدنه. هرول في كل الاتجاهات. نقّب في كل الانخفاضات والارتفاعات. لكنه لم يجد إلا السراب وتبدُّدَ خصوصيته. ارتكن إلى حجر وانكمش تحته. فأحس برطوبة سحرية، ونشوة تتخلله دون

أن يدرك لها سببًا. إحساس فطرى لذيذ تغلغل داخله فجعله يسير وكـأن شيئًا ما يندهه بجاذبية لا تُقَاوَمُ. سار وهو يترنم بأناشيد لم يسمعها أو يرددها من قبل. وجد نفسه يهرول بغبطة لم تراوده من قبل إلا في الأحلام وأمنيات الشتاء المستحيلة. استحال تعبه نشاطًا وآلامه سعادةً وليدة. رطوبةٌ وبلـلٌ أحس بهما يتزايدان تحت قدميه. ابتهل. نظر لأعلى وذرع الخطوات. وجد مياها تتسرب، نقاء بديعًا يتخلق، وعينًا تنبع لذةً للشاربين والناظرين، بفرح جنوني هل وبابتهال استساغ، شعر بأشياء جديدة تتخلق داخله، فتمرغ في المياه والطين الغريب المصدر، هدوء ذرع جسده، استرخاء تشرب روحه، أحس بأن ضفة جدول الماء تندهه بسحر عجيب وبقوة فوق طاقاته، فـلا يشعر إلا وهو يهبط بسلام وسكينة في حضن الأرض، فيبتسم ويرافـق السكينة...

ملحق الإشاعات

أكد أحد رجال قافلة كانت تسير من "هناك" أن شجرة وارفة نبتت في الجسد وعليها طيور تغنى بسحر لا يوصف. أذاع شخص ما أن أي مريض يشرب من النبع يشفى. تدوال الناس أن أحد المتسولين ـــ وفى رواية أخرى أحد قطاع الطرق وربما رجلَ أعمال أو مستثمرًا ـــ سكن هنا وأخذ يبيـع من مياه النبع، فأصبح واسع الثراء. بثقة زائدة جزم أحدهم: "عندما حاولنا أن نلمس جسده، اختفى". صوِّرت الشجرة في إحدى الجرائد، فارتفعت نسبة مبيعاتها. وُضِع المكان على الخريطة السياحية للخطة الجديدة لرجـال الأعمال وشباب المستقبل. قطع مشجِّعو منتخب كرة القدم للدولة المنافسة الشجرةَ.

الحروف

مهداة إلى جاك دريدا

جالس يطارد خيط دخان، يخط بقلمه بعض الحروف في قصته، ويشكل بعض الفراغات. يحتسى لوحده كأسًا فارغًا ويفرّغ الكلمات من مدلولاتها الغبية. ترتسم علامات الشهوة على قلمه ويضاجع كتابة نشوى. تتخلق الكلمات وتتقطر الدماء من قلب ربما كان موجودًا منذ الأزل عندما عُرضت عليه الأمانة. أبوه جالس يلهو بجانب الشجرة. "هو الليل يا أبتاه، لماذا طلبتَ الفراق؟" عندما يحتسي نصف الكأس تكون الحروف مازالت مشتبكة مع بعضها أو مع خارجها في معركة سرمدية، وتكون نشرات الأخبار تعيد الأنباء نفسها منذ ملايين السنين، سالم ، جامل، لاطف، انطفأ ، فانطفأ البريق في عينيه، داروا، هزئوا، أنكروا، فعاقروا الألم.

حبات عيون سوداء تنير حروف الكتابة، ولكنها تقرر فجأة أن تختفي. وبالرغم من أن الحروف كانت قد قطعت كل صلتها بخارجها – كانت تظن أن ذلك النور جزء من كوكبها – فإنها تتعثر من جراء الاختفاء، الغياب، وربما الظهور الآخر.

واقفة الحروف على الحدود تبحث عن "سر أبي الهول" وتحملق في "جنود طيبة" الواقفين في الانتظار. تفك طلاسم "اللغز". لكنها تفرّغ الفك من أي مدلول يرتضونه أو يرتضيه من تناولوه بعد ذلك عبر مليارات النصوص. لا تسير الحروفُ نحو المدينة. لا تستسلم لنشوة الأيادي المرحِّبَة

ولا تمرق داخل السور كي لا تجلس على الملكة وتتزوج الكرسي زواجًا كاثوليكيًّا. تسير في اتجاه دمه الأرجواني وتلاعب الطفل الكبير في الخلايا الذي ربما لا يستطيع أن يعقل معنى الغياب أو معنى الحضور منفصلين.

جالس يطارد خيط نار، ربما كانت مشتعلة منذ الأزل وهو نفسه الخيط الذي تطارده ومكتوب عليه ألاّ ينظر وراءه وإلا فَنِيَ في الجحيم وعاد إليهم بعد خروجه الذي ربما كان نقطة عابرة في حياة طريقه ولم يكن له مجد "دنقل". يقول بلسانه الذي جاهد طريقه كلها كي يجعله يتحرك تحت إرادته: "هذه هي بدايتك أو نهايتك أو وسطك معي – حسب أي مفهوم ترتئيه – لكن ذلك الجنون أو الطيش أو الاندفاع الذي تظنه فيّ ما هو إلا البذرة الأولى التي ستكوّن الاستدارة، أو ربما التفكك الذكي، لكنها من المؤكد ستلقي الضوء – وربما تسلطه – على سطحيتكم".

وبالرغم من الإجهاد الطافح من أعضائها، فإن الحروف لا تمل التشكّل والتخلّق والتكوّن في محاولة سحرية لربط وشائجها، وخلق تواصلها العبقري الذي تراوده الرغبة في خلق ظلاله. الفراغات في النسيج تخلق عالمها الذي يبرز أكثر عندما ترى الكلمات الخلفية وتشكلاتها البكر. تتقافز الحروف، تتزاور، أحياناً تتبادل أماكنها وربما أدوارها، فتعمر القصة وربما القصيدة أولا هذه ولا تلك، تدب فيها الحركة والنشاط، فيكفّ عن مطاردة الخيط الدخاني، يرسم بعض الحروف، أو ترسم نفسها، يتقافز، يتزاور مع أقرانه، قبله وبعده، أو حوله، ويحاول أن يشكل بنفسه وبهم بعض الكلمات خارج القصة أو ....أو يحتسي لوحدة كأسًا فارغًا.

اكتبوني

دوائر النور تبرق في عينيه. قلبه المتفتت يتململ. شاشة التليفزيون المعتمة تواصل ضجيجها المُصِمّ. الرجل ذو العمامة الكبيرة يضع يدًا على العجلة، يصفع التراب الصامت بيد وينطلق في الهواء. (انتبهوا يا سادة. المؤلف ضعيف النظر لا يرى الرجل جيدًا، فالرجل ينطلق ووجهه غاضب.) عامل المقهى البشوش يأتي بالطلبات وابتسامته المشفقة تدمي القلوب (من قال لك إنها تدمي القلوب؟) علي مجموعة من الأدباء في ركن بعيد من المقهى: ثلاثية عشق بِسُكْرٍ، سُكْرٌ بلا عشق، عشق بلا سُكْرٍ. دوائر الحركة المتواصلة وسكون العدَم. (من أدراك أن العدم ساكن؟ هو يتحرك؟ حركاته العصيبة تقتل كل شيء.) البنت بائعة اللب تستجدى الرواد. النادي يسبّ أجداد الذين أقفلوا بابه: يلعن التحرش الذي وقع داخله، (أتخفي الحقيقة ؟ لقد عاد إلي نشاطه بعد أسبوع) يحن إلي الشباب الجالسين يتناقشون داخله. المؤلف الغبي مازال يحاول تجميع الشتات المتنافر. الكتيبات الصفراء والحمراء تحرم كلَّ شيء، الوردة الحمراء ذبلت داخل الكتاب المهجور. عيون تودُّ الشكوى، يحتبس الكلام فيها ولا يجد من يستمع إليه. هل ستذهب "البراءة" معنا غدا الرحلة؟ لا يهم. يبدو أنه لا توجد هناك براءات/برئيات. (هل توجد هنا؟) هل "الحقيقة" ستذهب معنا؟ الحقيقة تناثرت مع ذرات الهواء المسافر منذ زمن، متعفنة مثل من أتت بها إلي الدنيا. تظن أنها مركز الكون والوجود والعتبات والشهوة والكمين والمداخل والحواشي والإهداء وكل شيء حتى الشواهد. (قل لهم لماذا سافرت؟ أتخاف أن يتفكك نصك؟) الزمن ثابت مكانه. نحن الذين نتحرك. الحركة مستمرة. الوقوف موت. (أهو موت أم موات؟) الموت قادم. لابد سنتعب ونتوقف. الولد الواقف في الشرفة يدغدغ أحاسيس البنت في الشرفة المقابلة. عندما قابلها ابتسمت له ابتسامة صفراء ومضت إلي هدفها.

(انتبهوا . لا يجيد التفريق بين الضمائر. البنت الأولي غير البنت الثانيـــة.) الهدف نقطة بعيدة والذكي هو الذي تكون عيناه مجهرًا. انثناءات الحـــارة الضيقة. النسوة يتفاخرن برجولة "المعلم" وشنبه الذي يستطيع أن يرفع به الأهرامات. هرم يُطْعَنُ في رقبته. هاء الغائب أخذت صاحبها ودارته خلف الحدود المنظورة . النظر محدود بأبعاد الفراغ، القلب ليس له أبعاد فراغ ، الفراغ والعدم يتسامران، يشربان نخبهما، يجريان، يرقصان فوق جثث من يجرى في الشارع. الشارع طويل، الأجساد المتلاصقة والمتلاطمـــة تجعـــل الإنسان يلعنها ويسب العربات والأكتاف الضخمة. تضخّم الفراغ حولي. ضغط عليّ. (ما الذي جاء بك إلي هنا ؟ أتتعدى علي خصوصية النص؟) يده الطويلة تحاول أن تجتث روحي. روحي المتجولة بين الصوفية السماوية والصوفية الأرضية تطيل جذورها. (أهي صوفية أرضية، أم صوفية علمانية، أم علمانية صوفية؟ ألا تستطيعِ أن تحدد المصطلحات؟). الفـــراغ مُلـــحّ. الإلحاح يولِّد في القلب جسارةً. الجسارة في اليد مقتولة، تـــسحب بـــاقي أشلائها وتضمها إلي جسارة القلب. النبض الساكن يهتز. اهتزاز جـــدران الصمت يطيح بغباره وتبدأ الكلمات في الإنبات... ستُسْحَبُ الأحلام من منابتها. الأمس لم يكن، اليوم لا يوجد كون، إذن الغد هو الذي سيكون ـــ يجب أن يكون كون، ستنعدم الحياة، ستُسحب الأحلام إلي تابوتها، سينمحي الوجود، إذا لم تتحطم الدوائر المغلقة وينهار جدار الزمن الصدئ، دقـــات الساعة الرتيبة تُحَشْرِج نسمات الهواء التي بدأت تصحو من قبرها. (مـــا هذه التعليقات السخيفة ؟ أأنت مؤلف، أم كاتب أم راوٍ أم هذه رؤيتـــك؟ لماذا هذه الدكتاتورية الغبية؟) صبي المقهى يُحضر الشيشةً ونظرة المواساة في عينيه علي ضحكاتنا الهستيرية. الأماني المتسربة من بين أياديـــنا تلـــهب حجر الشيشة فيحرق حلوقنا، الحلق ظمآن للماء، همزة الماء واقعـــة بـــين السطر: لا تقطع ولا تصل. السونكي يقطّع في الرؤوس ...ياء الـــسونكي تبصق علي كل الأبجديات قبلها أو بعدها. القبل بعد والبعد قبل وبينـــهما

الأشياء غير محدودة. اللامحدود نصل إليه في الأحلام .الأحلام تمرر حلوقنا فنبصق علي كل البين بين . بيني وبينها حواجز ثقافية لا تقدر عليها.

– ما الذي جاء بها إلي هنا ؟ أهو استدعاء غبي ؟

– عزيزي القارئ أتمنى ألا يشوشر ذلك الراوي المتطفل عليك؟

– أنا راو متطفل؟ كنت أظنك راويًا متواضعًا، لكنه اتضح أنك راو متعال من برج سماوي. لماذا تجلس في ركن بعيد من المقهى وتنظر من بعيدٍ إليَّ الأحداث هكذا؟

– كي أراها يا ... كما أن هذا ما أراه فقط، فلا تلم بغباء.

– أكملا، وكفًّا عن هذه الشوشرة. فلا أحد يشوشر علينا. نريد أن نرى أكثر.

الغباء مستمر في التزايد . يقولون إن الزيادة في كل شيء تقتله. الشيء واللاشيء كلمات تبادلت أدوارها.(ما هذا الذي تكتبه؟ إلى أين ذهبت؟) الكتاب الذي طبعه علي نفقته الخاصة صودر. الكتاب الذي طبعه علي نفقه عامة حذف معظمه. بقيت بعض السطور المبتسرة. النخل سرح في الأعالي لكن جريده ينحني للرياح وهى تصفعه والرياح لا تستطيع أن تزلزل الثعبان الرابض في قلب النخلة. تاء التأنيث، آسف تاء تأنيث النخلة، تتزوج كل الألسنة ويتوحدان للأبد. الألسنة غير مرنة الحركة. تحركها تاء التأنيث. (لماذا تعمم هكذا بغباء؟) مضاجعة تاء التأنيث للألسنة لذة جسدية محضة، الألسنة تريد مضاجعة صوفية تسكر فيها، آسف أعرف أنك ستعلق، مضاجعة صوفية علمانية، أاسترحتَ؟ السُكْرُ صور ورؤى، ولهٌ وهيام، فناء في المطلق الأرضي وعشق، يُسْرٌ في التوحد وامتزاج، تلقي العشق وذوبان.

– لماذا تكتب هكذا؟

– أنا لا أكتب. هذا جزء من لا وعى النص يا...

الذوبان لذة كبرى، كبيرهم هو الذي يحطم التماثيل. التماثيل تعربد وتـــزني بكل من يسجد لها. الهاء المجرورة تجر الدم من العروق، تقطِّره على الأرض وتدكُّ عليه بأحذيتها الثقيلة. ثاؤك يا ثقيلة ثالوث، قافك قوم يدهـــسون، ياؤك يا ابن الكلب، لامك لمعان يخفي تحته ظلامًا، تاؤك تيهٌ وسط الدوائر.

– دوائر دوائر دوائر. يا أخي ارحمنا! لقد جعلتني أظن نفسي دائرة أضيق علي نفسي الخناق أو يضيقونه عليّ، لا أدري!

– أتريدني أن أكون من "مهندسي الروح الإنسانية"؟ لا يا صديق هل تظن نفسك مؤلفًا مضمَرًا؟

الحجر الرابض وسط الحارة يخيف كل الناس، يقيـــدهم داخـــل خـــوفهم وغبائهم. لكن "البومة العمياء"[18] تحطُّ فوقه، تنعق وتبول عليه وتطـــير إلي حجر آخر. (إنك لا ترى جيداً يا صديقي، فهي تحطُّ علي الأشخاص أيضا في كابوس متصل من الحشيش المزور فما باله لو كان حشيـــشا حقيقيـــا.) ذلك الحجر يحطم كل التيارات، لكنه لا يستطيع أن يعدم بـــول الكـــلاب المتسرب من أو إلي داخله. الداخل خارج والخارج داخل والفلاش باك أو الفلاش إلي الأمام يعرِّي تزويرهما: التاء تردِّي. الـــزاي زور، الـــواو ولـــد مخصي، الياء يمامة مذبوحة، الراء رأي تائه، أسف، متوَّه، الهاء هَمٌّ كاذب، آسف مكذَّب. الميم ملك أعمى يقود عربة. الألف آهة طويلة، طويل ذلك العمود الكهربائي المظلم، اللمبة تُسْرَقُ دائماً والعمود مشدودٌ بالأسلاك لا يستطيع أن يمد يده ليضرب بها السارق. لا يعرف كيف يقـــاوم العنـــف بالعنف.

– حيلك يا سيادة الراوي! أتظن نفسك علي خشبة مسرح ثقافة جماهيرية بالأقاليم؟! أم تظن نفسك تلقى خطبة في مؤتمر لحزب، أم تظنك خطيباً علي منبر؟ ارجع إلي طريقك!

---

18 البومة العمياء رواية للكاتب الإيراني صادق هدايت، ويقال إنه كتبها تحت تأثير الحشيش.

- أشكر لك ذكاءك يا صديقي.

الظلام يقولون إنه أبدي. نور القلب يحتاج من يلمّعه فيذيب الظلام ويحرقه. الحرق نار تتأجج فيها القلوب. النار المتزايدة تزيد انفعالها. لابد يوما ستُخْرِج ما بها وتحرق الظلمةَ.

- ارحم نفسك يا صديقي ستظل سنة كاملة في الفراش.

- لا أستطيع ولا أريد.

الموسيقى الخفيفة المنبعثة من مياه النهر تعطِّر الآذان بنغماتها الرقيقة، النهر يجري، صبره طويل، يتألم من الأثقال الملقاة بداخله، والبطن تريد أن يتخلق داخلها جنين.

-أشفق عليك يا صديقي. أرحم نفسك وعقلك وقلبك.

عشق النهر للإنجاب يمنِّيه بهزة من احتضانه للأرض فتروي الأثقال ويتخلق...

- ما الذي جرى لك يا صديقي؟ لماذا توقفت؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، بالقلم. أمُتَّ؟ أشعر بضميري يؤنبني. أين أنت، بل أين جثتك؟ تلاشت؟ أستغفرك ذنبي. البقاء في حياتك أيها النص لن تجد من يكملك. عليك أن تكمل نفسك...

- لا تأخذ في بالك يا عزيزنا، نحن الذين سنتولى الكتابة.

حاشية أولى : يبدأ صاحبنا، وربما أحد جوانبه، في الكتابة معهم.

حاشية ثانية : في الليل يظهر شبح المؤلف يحوم حول المنضدة، عندما لا يرى أحداً يمتعض، يتكرر ظهوره لليال، ولكنه عندما يراهم حول المنضدة منكبِّين على الكتابة، ينشرح ويختفي للأبد.

الإنتاج

دخل متجهمًا. لم يلقِ سلاما. رفع يده في حركة لم نستطع أن نحدِّدَ مغزاها. لَعَنَنَا ولَعَنَ كل الناس. اتجه إلى الحمَّام ثم توجَّه نحونا، ألقى السلام وتركنا. تجوَّل في أركان تلك الشقة الشريدة اليتيمة وأخذ يسخر ثم ضحك. كنا نسمع ضحكاته الحزينة ولم نستطع الضحك. شرع في القهقهة ونظر إلينا فقهقهنا ثم تشنَّجنا. رجع إلينا مبتسمًا، سلَّم علينا جميعًا وجلس وسطنا. قلنا كلنا في صوت واحد: "ماذا فعلت بخصوص موضوعك اليوم؟" لم يجب، فقط أخذ نفسًا طويلا من الشيشة ونهض. غسل وجهه من ماء الصنبور الواهن وبحث عن منشفة، لكنه عاد خاوي الوجه وعيناه مليئتان بالحمرة الداكنة. خاطبني مبتسمًا: "سأريك إنتاجي"، وأخذ ورقة وقلما وذهب إلى الحجرة... عاد إلينا والورقة مكتظة بالكلمات اللدنة النشطة وقال اسمعوا: "أمسك القلم كعادته، لا، ليس كعادته"[19] وظلَّ يتمزَّقُ إلى أن وصل إلى "زفرت الحروف ونظرت إليه بعتاب، فأدار لها ظهره وبكى". وأخذ يبكي بحرقة كادت تشعل النيران في/على كل شيء، لكنه لم يدر لنا ظهره. بدأ يهلوس من شدة الألم، حسب علمي به لم يكن يهلوس بالطبع، وتكلم كثيرا: "أيخشى بل أيخشون شعلة بروميثيوس، أم يخاف على الظلام المتجمد ويسرى في عروقه ودمه الثلجي أن يتفتت". "السبورة

[19] هذا الاقتباس والاقتباسات التالية من مجموعات فتافيت الصورة (ثقافة القاهرة 2001) وبدايات قلقة (المجلس الأعلى للثقافة 2004) ونقوش على صفحة النهر (دار التلاقي للكتاب 2009) والمجموعة الحالية وقصص أخرى للمؤلف.

العمياء تتكلم". "كل عام يعيدون تشكيل الخريطة"."تقذفه الأيادي ليصطدم بالجدران الأسمنتية". "تعرف دائما طعم الأسئلة عندما تتخثر في حلقهــا". "دائر بين تشيؤ الأشخاص وتشخيص الأشياء". "تتطلع إلى خيوط العصافير التي تتماوج في الهواء". "جالس يطارد خيط دخان". "صــوتها الموغــل في البعد يترقرق في أذنيه". "الولد يعاند تلك الأسطورة القديمة". "هاهي تلح في الخروج والحفرة تصر على العناد والمكابرة". "صامتا جاء وصامتا ارتحــل". "لم يتكلم، فقط نظر بذهول". "ألقى السلام. لم يجبه أحد". "فقد الفتى إيمانه بالوراثة والتوريث". و"مهما كان، مازال يــصارع". "في وســط كلامــه تركهم". "نظر بعضهم إلى القضبان". "قالت كلمتها وانصرفت". " لا. لا ترحلوا ، سادتي قبل أن تقولوا كلمتكم". "ابتسم وراح مع السكينة"...

(نام وفي الصباح بحثنا عنه لم نجده. فقط عرفنا أنـه أخذ معه بعض الأوراق. علمنا بعد ذلك أنه بدأ في مشروع كتابي كبير، لكن للأسف حطّموا علينا أو عليه باب الشقة واستلبوا كل الأوراق).

دوائــر

لقطة أولى:

نفير العربات يرهبه. يخشى أن تكون بهذي العربات عيونٌ وأنوفٌ وأرجُلٌ تطيح به في ركن مظلم من غرفة ضيقة، وهو ذاهب ليشتري طلبات بيته وورقا لكتابه. يسير في شارع جانبي كي لا يطيّر صوت التكّات أوراقه أو يتناثر طعام أهله تحت أقدام لا تعرف معناه.

لقطة ثانية :

جالس على المقهى بعد انتهاء عمله، يحتسى الشاي بعد الغــداء ويضبط أشياء كثيرة بأنفاس الشيشة. يتوحَّد نفير العربات وصوت التكات ويتجمَّعان في أسطورة من أساطير زمن ما. وبدون أن تبحث العيون عــن شيء ما، أو تُدَسّ الأنوف في أشياء، تسحبه الأيادي وتسحب كل من يجلس معه كأن الجلوس المقهى صار شُبهةً يعاقب عليها قانونٌ نائمٌ. يسمع نفــير العربة المتواصل، وهي تسير خارجه، لا يدرى إلى أين. يحس بأنه نقطة غير مرئية داخل تجويف العربة الضخم.

لقطة ثالثة:

تتضخم الأسطورة، تمتص عقول الناس، تتحسس داخل ملابسهم وأجسادهم وعقولهم وأرواحهم، وتتسرب حتى أقدامهم، ترفــع الــبلاط وتفتّش تحته. تمتصُّ الأسطورة فرحةَ الأم بكتاب ابنها وتذيبــه. تذيبــهما.

فتشترى الأمُّ كل ما تستطيع أن تشتريه من نسخ الكتاب المتاحة قبـــل أن يُصَادَر وتملأ بها أركان البيت. مزهوة بابنها، تدعو كل زائر لقراءتها.

لقطة رابعة :

حاملا قلبه بين دفَّتي الكتاب يسير. تتراقص الأمنيات فى عينيه. ينعطف إلى الشارع الذي يسير إلى بيته. تتربص به العيـــون مـــن مقدمـــة التجويف. من داخل الفتحات في التجويف المتحرك يرى كل شيء خارجه يختلط ببعضه. تتوقف العجلات وتقذف به داخل تجويف أسمـــنتي "مـــاذا فعلتُ؟!!" "فعلتَ كل شيء ودليل جريمتك في يدك". تـــشير الأيـــدي إلى كلمات طفله الصغير بين يديه.تتبعثر الحروف داخله، لا يستطيع أن يجمّعها، يتخَلَّق داخل كل خليَّة من جسده سؤالٌ. تقذفه الأيدي ليصطدم بالجدران الأسمنتية، ويندفع الدم قاتلاً معه الأسئلة.

لقطة خامسة:

طبقة من الظلام أمام عينيه. تسحبه الأيدي من التجويف الأسمنتي من خيوط غليظة في يديه، تقذفه في تجويف آخـــر حديـــدي. تتحـــرك العجلات. من بين الخيوط الدقيقة في الفوهة، يأتي إليه نفير عربات مختلطٌ بضجيج متحرك. يتشبَّع زفيره بنبرة الاستهزاء. تعاوده بشدة "تلك الرائحة" المخضَّبة بها جدران التجاويف. كل صوت قادم إليه – حتى صوته– يـــصل إليه نفير عربات متصاعد.

عتبات

عتبة أولى

ولّما كانت الليلة الثانية بعد الألف وكان أقارب زوجة شـــهريار الأولى –الموتورون–مازالوا يخبئون أمراً خطيرا بعد أن تأكدت مخـــاوفهم ولم تُقْتَل شهرزاد، بل عفا عنها الملك وشاركها الحكم وأورث أولادها الممالك – همس أحدهم في أذن أخيه: "نقتل دنيازاد فهي التي حثّتها على الحكي". وعندما انطلقت حشرجات دنيازاد، تيقن الأقارب أنها انتـــهت، فتـــسلل أحدهم إلى مخدع شهرزاد وكان قد دس خنجرا مسموما تحت عباءته...

قــــالوا: إن الألف الثانية من الحكايات لم تكتب لأن شـــهرزادَ ظلّت أياما تتجرع السم بطيئا في دمها وبعدها ماتت. إن شهرزاد حين قطعَ لسانَها أحدُ الموتورين سكتت عن كل أنواع الكلام . ولّما كان الملك قـــد استمرأ لعبة السماع، قتلها حالما بيوم قد تأتي فيه راوية أخـــرى. إن راوي الحكايات كان قد طعن في السن ولم يستطع أن يكتب أو يملي أي حكايات. إن أكبر ملوك جزر الواق واق أرسل أحد جنوده إلى شـــهرزاد، فحملـــها وألقى بها في أرض الوحوش، ولم يسمع أحد صوتها بعد ذلك إلا من خلال "ألف ليلة وليلة"...

عتبة ثانية

في البدء كان "مروان" يغني. يعلي صوته بالغناء فيسمعه القاصي والداني، تتراقص الأشجار في عنان السماء، تراقص النجوم فينام كل المغنيين والسامعين وهم يملؤون جفونهم بالسعادة والرضا. في الوسط كان أحد الموتورين يدور على البيوت والشوارع يقسّي القلوب على مروان وما هم له من السامعين، يطردونه خارج قراهم ومدنهم، فيحتمي بالصحراء ويزأر. يعلى صوته بالزئير، يتردد زئيره في الآفاق، يسمع صهيلَ خيل بعيدة، يهرع إليها، وقبل وصوله يبطئ العدْو ويتستر بالظلام، يختفي خلف خيمة هؤلاء الشباب الذين وجدهم يمرحون، يختبئ بعد أن يجدهم كثيري العدد، ويسرق أحد الخيول، يجري كالفارس المغوار. يدق باب مروان، يفتح له منشرح الفؤاد طيب الخاطر، فيترل على صدره بذلك الخنجر، يلفظ مروان أنفاسه الأخيرة وهو يطلب من ابنه أن يذهب إلى صاحبنا ليتعلم على يديه.

العتبة الثانية بعد الألف

جرى الأقارب الموتورون لزوجة شهريار الأولى في جنازة دنيازاد، ومن بعدها شهرزاد ومن بعدها مروان. ومن بعده كان صاحبنا الذي لم تبدأ الكتابة لديه رغبة في الاعتصام من الموت بل رغبة في الحياة والوجود والكتابة. نظروا إلى بعضهم، خبأوا ضحكة كادت تبدر منهم على سيرهم إلى قبره السري، تجهَّموا، وبعثوا إلى أصدقائه برقية عزاء من ورق أحمر مرسوم أعلاها خنجر.

وجود

مولود أنت بين ظلال الألوان. تخاف علي هذا الجزء الغالي من قلبك المفطوم أن يقطفه الزمن ويلتهمه في أحشائه التي ترسم جذور خيوط عنكبوت في قلب الحياة، تريد أن ترسم تلك الصخرة من خطوط من دمك، تلوّنها بعيونك وتواريها بين هذى الرموش، تحاول أن ترسم لونك بيديك. "يا عاشق القمم البعيدة/ اصعد إلي هذا الصراط/ فالحب آجر القصيدة/ ودم المغنين الملاط"20. تتعثر! تخطئ وينكسر الخيط! أغضبت ؟! لا، لا تتسرع، وجّه غضبك، ألا تعرف كيف توجهه؟ تأمّل الخيوط جيداً. داعب الفرشاة. راجع شريط حياتك وحياتهم وموتهم ومواتهم. تأمله للمرة العاشرة بعد الألف واحكم، احك، ارسم، افعل ما تشاء. أتعلق نفسك علي الحائط وتقول: "يا أنا/ يا مفتاح الصبر / يا معلقاً علي الحائط"21؟ أغمض عينيك. ما لم تبصره قادم. هذه النبضة المرتجفة هي بداية الحقيقة، هذه الرعشة في اليدين هي التي ستعطى للوحة طزاجتها ونقاءها المُرَّ. هذه النظرة الحائرة ستمنح بُعْدًا جديدا. حاول، ارتعش كما تشاء، لا تكبت هذه الرجفة، هنا منتهى السكون، لا تستمع إلي أصواتهم، لا تنجذب لغوايتهم، لا تترنم ترانيمهم، لا تردد أناشيدهم، لا تقرأ كلماتهم، لا تستخدم حروفهم، لا تكن لهم من التابعين، تكّات أصوات النار في الخارج تلهب مشاعرك، تصهر أفكارك، تسكبها فياضة في أنهار ترقد في صحراء قديمة، انصهر، الانصهار

20 حسن طلب : "الزبرجدة الأساس" زمان الزبرجد، كتاب الغد 14 (1989) ص: 51-52

21 عصام أبو زيد، ضلوع ناقصة. هيئة قصور الثقافة (1996) ص: 21.

بداية العمران، لا تخف من ذلك الخوف الوليد، لا ترتعب، لا تقف واجمًا، تقدم، تبصَّرْ وافعل ما تشاء، المياه التي تدفقتْ تحت قـدميك سـترويك، أتحسبها دموعًا، ستنبت، مهما كان الإنبات بطيئا فإنـه منطلـق الخـضرة والينعان، سافر في تلافيف اللوحة، أنر طياتها، ظلـلْ مـا تريـد، أنـت المسئول... لماذا توقفتَ؟ أكمل! لا تنتظر شخصا آخر يكملها لك، فهـي وليدتك، تتغذى من دمك وعندما تختلط الدماء ربما يحل الموت، لا تخف من اختلاط الأصوات، تداخل معها. ألا تسمع تكات الرصـاص وصـرخات الموت، لا تكتب موتك بيديك، اصرخ، إنك مازلـت حيـا، انطلـق... (نطلقت يدي بنشاط زائد. الرغبة في الإكمال تلهب الفرشاة فتخط مـا لم تستطعه من قبل في هستيرية محمومة متعمقة. تنهدتُ. ابتسمتُ. وسقطّتُ. ولكن بعد أن أخرجْتَها للوجود...)

أصداء كتابة

خطوط الماء

عندما نظر للوراء، قال "سآتيكم منها بقبس". وأخذ يمزجُ الرمالَ بالطِّين إلى أن انتفختْ بطنُها. فَنَبَتَتْ بذرةٌ كان قد خبَّأَها فيما بين خطوطِ الماءِ.

نـــداء

جرى وراءها، يُمَنِّي قُرّاءَه بكتابةٍ بتولٍ، لكنه عندما لَحِقَ بها، أَدْرَكَهَا حروفا هزيلة لا تقوى على النَّبْضِ.

صـراخ

صرختْ من الكتاب المجاور، ففتحه بسرعة أنفاسه الملتهبة. وعندما وصـــل إليها وجدها كلمةً غريبةً لا تحتمل التواجد في ذلك السياق.

بكـــاء

بينما يقرأ قصيدةً، سمع بكاءً يدمعُ من أحد السطور. مسح دموعَ التـــشبيه فقال له: "ما علاقتي بهذا وما علاقته بي"، فردَّ عليه: "لا تقلق سأتغاضـــى عنك أثناء القراءة إن واصلت"، وألقى الديوان بعيدا، فتلاشى البكاء.

تـرهُّـل

سمع صوتا يلهث من بين الصفحات. هبَّ إليه، فقال: "ما بال هذا الغـــبي يطوّح بي عبر المسافات وقصَّتي لا تحتمل العَدْوَ والانتقـــال، احـــرقْ هـــذه المسافات أو اقتلني قبل أن أبدأها". نظر إليه للحظات ثم قال: "صاحبك قتل نفسه يا صديق"، وانصرف عنه غير آسف يكتب قصة.

رغبة في البوم

تنتابُه شهوةٌ عارمةٌ في الضجيج، فيلقي بنفسه في أحضان الزحـــام. يمتطـــي الموجات، فتتسارع دقاته على وقع الأقدام. تراوده رغبة في البوح، فيجلس

بجانب عمود كهربائي ويُخْرِجُ ورقته ويشرد. فتتخطَّف انتباهَه حركـاتُ الناس وأفعالُهم.

شوق

يتذكَّرُ أنه لم يسمع المقطوعة الموسيقية من فترة احتار في تحديدها، فيرجع ويهرول إلى غرفته ممتطيا صهوة الشوق المواتي، يحمـد في نفسه تمزُّقَهـا وانصهارَها، تشتُّتَها والتئامَها. وعندما يغيب عنه الشعور بالوحدة، يخرج القلم ويبدأ في الكتابة.

بكاء

هبَّ من جلسته على صوت بكاء. نظر إلى الديوان الضاج على المكتب: وجد الكلمات تسبُّ الشاعرَ وتلعن بعضها البعض، فقد جلبهُنَّ ضـرائرَ وأسكنهنَّ في بيت واحد على نفس الموسيقى الرتيبة. ولأنه كان قد قرأ بعض الديوان ونام فَوَاتَتْهُ الكوابيسُ من كل السطور، أحرق الديوان. ولم يحـاول أن يكتب قصيدة.

قفـز

كانت الكلمات تتضاحك عليه فيما بينها. تنظر إليه ولا تبين في وجوهها علاماتٌ. يلوي أذرعها. لا تصرخ، لكنها تَنْفَلتْ من بين يدي قلمه الحَجَريِّ. تتدثَّرُ بالورقة. وعندما يلوِّثها الحبر، تقفز خارج الورق، منها من يرجع إلى القاموس، ومنها من يجري إلى الشارع.

قلم وحبر

في البدء: كان القلم وكان الحبر: أنجب الحبر حروفا، شكَّلها القلم كلمات، سَلَكَهَا في سياقات، انداحت الكلماتُ، تقاطعت السياقاتُ، تزاوجت الحضاراتُ وذاب القلمُ.

رؤية

في البدء: لم تكن الصورُ تتراءى أمام العين خالصةً، وما استطاعت العين أن تراها إلا غير خالصة. شكّلتْها حسب رؤيتها، ولوّنتْها بالزاوية التي تقف فيها، منها أو عليهاً. سافرت العينُ في الزوايا وتجاوزت المحاورَ. وعندما صاحبت الهوامشَ، كوّنت لها مركزا.

هوية

في البدء: كان القلمُ يظنُّ أنه فقد أي هوية يرتضيها لنفسه. تَغَرَّبَ في المتاهات. سُفكتْ خصائصُه في كل البلدان. غَرَبَتْ شمسُ طفولته البكر. ضاعت هويته وسط كل الهويات. لكنه تشرَّبها ورشَّحها ثم تشرَّب ترشيحه، فَعَلَتْ هامته وها هو يتراقص.

أبجديات

في البدء: كان القلم منتشياً. غازل الشمس الشارقة. غزل أشعتها حروفا ولمّ شتاتَ الكلمات. لم تظلّ الكلمات على حالها. أكسبها دورانُها خبرة، وتعرَّفت فيه على ذاتها. لكن السياقات مازالت تتقاطع والحروف مازالت تتزاور وتَشِي بكل أنواع الودِّ مع كل الأبجديات.

مصافحة الحروف

مازال يبتسم، يسأل عن أشياء لم أدركها. يقابل علامات غير موجودة، ويصافح حروفَ كتابةٍ غير ممزقةٍ. يسبُّ وجوها لا أراهاً ويلعن مواثيقَ كانت يوما ما.

تجاوب

عندما يدقُّ جرسُ الباب، يخرجُ مُغَمْغمًا بأشياء لا أفهمها ثم يعود بورقة يمدُّها لي: "هل تفهم ذلك؟" أنظر له بغباء ولا أجيب. وعندما يستطيل تجاوبنا تطفحُ منَّا الآلامُ.

علامات توقّفٍ

ها هو يكتب الآن قصةً وفي عينيه علامات توقُّف رهيب. يحتسي الـــورق ببطء ويطول الصمتُ الغائم. ينتبه إلى صوت المُسَجِّلِ بجانبه فَيُخْرِسه ويعود وَعْيَهُ إلى حبره. يبصر النار فيبتسم وينهض ليحرق الورق ويسترخي.

ضجيج الكلمات

يترك صمته وحراكه للعنان يفعلان به ما يريدان. لا يستنهض التقطيبة التي عَلَتْ وجهه، فقط يعبث بالقلم بين يديه. لا يمد يده إلى علبة السجائر بغية تكدير النَّفْسِ، يمتلئ عقله بضجيج الكلمات فيقذف بها إلى فؤاده ويخرج.

ضعف

اكتظ قلبه بالأوجاع. فجلس ليكتب علّه... جَثَمَتْ على قلمه الأوجـــاع فانكسر.

كان فعل ماضي

عندما كنتَ تسمعُهم، كنتَ تتوحَّدُ معهم بكل ما فيك. لكنك صيَّروك الآن تسمعهم ببلادة.

كلما نصل إلى ميناء

تَشُقُّ الصخرَ. تعاندُ الأمواجَ. ترسمُ الصورةَ التي ترتئيهـــا. وتظـــن أنـــك أنجزت. فتصرخ حنان ماضي: "الشطوط ترفض لقانا، والبحور تابي تنادينا".

رسّام على المنحدر

يمسك الفرشاة، يرسم مُنْحَدَرًا، وقبل أن تكتمل للخطوط تعرجاتها تهـــوي قدمه إلى هاوية التل، فيبتل بالألوان وتنطفئ عين.

مسألة ضمير

كنتَ إذا ما صعد دخَّانُه إلى رأسكَ تنتشي وتنشرح وتجدُ ملايين الأسباب للبهجة. لكنه هذه المرة يجعلك تَهلوسُ وتسعلُ.

قروش

كلما ضاقت بكم السُّبُلُ وكايدتكم أسبابُ النكد، تأنسون بحليم أو اثـــنين. تتمنون ساعتها لو أن معكم خمسين قرشا.

وما نيل المطالب

كلما مررت من جانب الشركة الشرقية للدخان، وتشبَّع أنفُك، تتمنى لو أن هذا الدخان لونه كالسماء الزرقاء.

مؤقت

كان كلما تضاربت الأسلاك في رأسه، سارع إليه، فيتلقفه بحنو تـــدريجي، فعلا كان يجد فيه خروجا مؤقتا.

إيحاءات

عندما تسرّب إلى رأسه، تجلّت الدلالات أمام عينيه، تُرى ما الرابط بينـــه وبين الحشيش الذي تأكله البهائم، أيلبي له غريزة أساسية؟ أم أنه منتـــهى غايته؟

تضليل

لّما دفع ثمنه، تبين تضليل الدراما التليفزيونية والسينمائية، من أيـــن للبطـــل المغلوب على أمره أن يلجأ دائما له؟

عن المؤلف

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد الجزيري في **2** أغسطس **1973** بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. كاتب قصة وشاعر ومترجم وناقد ودكتور جامعي. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج **1995**.حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة **1998**عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر**1936 – 1961**"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام **2002** عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف **1967 – 1987**". يعمل منذ عام **1999** بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس ومنذ **2005** بقسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين (الآداب حاليا) بجامعة طيبة بالمدينة المنورة.

elgezeery@yahoo.com، elgezeery@gmail.com

<u>إصدارات : (1) قصص قصيرة</u>

1 – فتافيت الصورة ، ثقافة القاهرة ، **2001**

2 – بدايات قلقة، سلسلة الكتاب الأول، المجلس الأعلى للثقافة، **2004**.

3 – نقوش على صفحة النهر، القاهرة، دار التلاقي للكتاب، **2009**.

4 – غلق المعابر ، القاهرة ، دار التلاقي للكتاب ، **2010**

5 – رائحة مأتم ، القاهرة ، دار التلاقي للكتاب ، **2010**

<u>(2) شعر</u>

1 – لا تنتظر أحدا يا سيد القصيد، القاهرة، دار التلاقي للكتاب، **2009**.

2 – حفل توقيع،جمال الجزيري،دارالتلاقي للكتاب،**2010**

3 – ونظل على الإشراق،جمال الجزيري، القاهرة، دارالتلاقي للكتاب،**2010**

4 – أصوات نهر قديم، جمال الجزيري، القاهرة، دارالتلاقي للكتاب،**2010**

5 – خارطة المطر ، جمال الجزيري ، القاهرة، دارالتلاقي للكتاب،**2010**

<u>(3) دراسات نقدية</u>

1 – الحوار مع النص : جماعة بدايات القرن نموذجاً . القاهرة: جماعة بديات القرن، **2002**.، **2** – "أنسنة السرد: قراءة في سر الأسرار لمحمد حسن عبد الله ". محمد حسن عبد الله : دراسة وتكريم، تحرير د.مصطفي الضبع. جامعة القاهرة. كلية دار العلوم بالفيوم، **2001**.، **3** – "مشروعية دراسة عتبات النص: قراءة في روج أبيض لزاهر الغازياى". المؤتمر الأول لأدباء القاهرة، **20** – **22** فبراير **1999**، كتاب الأبحاث **4**. – " الشعر البديل: قراءة في أشعار من قنا". مؤتمر قنا الأدبي الثاني.**16** – **18** يناير **2000**، كتاب الأبحاث.**5** – أخبار الأدب، مقالة "شكري عياد وتطبيع النص الأرسطي في الثقافة العربية"، تأليف د. جمال الجزيريالأحد7مايو**2006**،، **6** – دراسة نقدية بعنوان "شكري عياد والحداثة" (مجلة جسور، العدد **19**، السنة الثانية، سبتمبر أيلول **2006**، باب الأدب والفن)، **7** – دراسة نقدية بعنوان "البطل من الأسطورة إلى الأدب عند شكري عياد" (مجلة الرافد، عدد **109**، سبتمبر **2006**).، **8** – دراسة نقدية بعنوان "تداخل الأصوات وتفكيك الأيديولوجية في قصيدة "متى يأتي الجيش العربي؟" للشاعر السمّاح عبد الله"، صحيفة منبر دنيا الوطن، صحيفة فلسطينية إلكترونية، **21** فبراير **2007**.، **9** – عرض نقدي للمجلد الثامن من موسوعة كمبردج للنقد الأدبي ، نشر بمجلة إبداع ، العددان السابع والثامن، **2008**.، **10** –

"عدسة الحياة المسرحية: رؤية العالم المسرحية في مونودراما " السيد تمام". السيد تمام لنجاح عبد النور. القاهرة، دار التلاقي للكتاب، **2009**. ص **37-67**.

(4) ترجمة

1- أسطورة بروميثوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (مشاركة، **2001**) **2**- أقدم لك..الذهن والمخ (**2001**) **3**- سحر مصر للرحالة الإنجليز (**2002**)**4**- أقدم لك... فرويد(**2003**) **5**-أقدم لك...تروتسكي والماركسية (**2003**)**6**- أقدم لك...فرانتس كافكا(**2003**) **7**-أقدم لك...رولان بارت (**2003**) **8**-أقدم لك ... علم العلامات (**2005**) **9**- اليهودية أيديولوجية قاتلة (**2003**) **10**- أقدم لك...الحركة النسوية (**2005**) **11**- أقدم لك...ما بعد الحركة النسوية(**2005**) **12**-أقدم لك ...النظرية النقدية(**2005**) **13**-أقدم لك...القتل الجماعي(**2005**) **14**- أقدم لك ... التحليل النفسي(**2006**) **15**-المجلد الثامن من موسوعة كمبريدج للنقد الأدبي(مشاركة، **2006**) **16**-الجزءالأول من المجلد الرابع من موسوعة كمبريدج للنقد لأدبي (مشاركة، **2006**) **17**- معجم دراسات الترجمة (**2009**) **18**- مقالة مترجمة بعنوان "تنمية المواهب في التعليم" مجلةالمعرفةالسعودية في عدد يوليو**2006**.(ص**94-97**) **19**- مقالة مترجمة بعنوان "العنوان: مكانه وزمانه، مرسله ومستقبله". تأليف جيرار جينيت. مجلة تواصل. الهيئة العامة لقصور الثقافة، فرع ثقافة القاهرة. عدد فبراير **1999**. (ص **36-45**) **20**- مقالة مترجمة بعنوان "وظائف العنوان". تأليف جيرار جينيت. مجلة تواصل. الهيئة العامة لقصور الثقافة فرع ثقافة القاهرة.عدد يونيو **1999**.ص**39-50**

نسائم

إصدارات "دار التلاقي للكتاب" في سلسلة

" النصوص القصصية "

1 – **نقوش على ضفة النهر** ، جمال الجزيري

2 – **رائحة مأتم** ، جمال الجزيري

3 – **غلق المعابر** ، جمال الجزيري

4 – **سيمفونية التمرد** ، د . مخلص أمين رزق



دار التلاقي للكتاب

تعنى بنشر الثقافة الرفيعة والإبداع المتميز

0117652396 / 33477903

altalaqi22@yahoo.com